



المدرسة الابتدائية الحرة

Francs : 5

فرنك : 5

مدرسة ابتدائية حرة

الدار الموقتة التي تفتح فيها المدرسة ريثما تشاد البناية المنشورة صورتها على غلاف المجلة

لم يبق شكٌّ في أن المغرب اليوم في طور جدّ وصار رجاله المثقفون يشعرون بمسيس الحاجة الى تعميم التعليم والعناية بكلّ ما فيه المنفعة والخير للبلاد ، لذلك لا نتعجب اذا رأينا أحد شباب المغرب العاملين يسعى بكلّ جهوده ويبذل نفقات كبيرة لا يستهان بها في مشروع علمي صرف وانشاء مدرسة حرة لتعليم الابناء اللغتين العربية والافرنسية.

لقد كان في امكان الاستاذ أحمد بلا فريج المتخرّج من الجامعة المصرية والحائز على شهادة الليسانسية في الادب من كلية عاصمة العلم باريس أن يخلد الى الراحة كأمثاله الذين توفرت لهم الثروة وسعة المال في وسطنا الراكد وكان في أمكانه أن يتخذ شغلا سهل التناول يعمر به وقته ولكن لم يرد هذا ولا ذاك وأبتْ همته الا أن ينشيء هاته المدرسة العصرية التي تستلزم من الجهد والمال والمثابرة في العمل وقوّة الارادة ما لا يكاد يخفى على أحد من الناس في سبيل نشر العلم ومشاركة المدارس الرسمية على انشاء جيلٍ راقٍ في أفكاره ومعلوماته .

وها هو المشروع في طريق التنفيذ ، وستفتح المدرسة مصراعيها وتبدأ دروسها في غرة شهر أكتوبر الآتي بإذن الله .

ولهذه المدرسة ـ حسبما في برنامجها ـ خمسة فصول ، إلا أن هذا العام يفتح منها الفصلان الأوّلان فقط ، أما بقية الفصول فموعدها السنة الآتية عند ما يتمّ البناء المعدّ لذلك على أحدث طراز إن شاء الله .

وتدرس فيها سائر الفنون التي تدرس في مدارس الحكومة من جغرافية وحساب وتاريخ وغير ذلك باللغة العربية التي تأخذ العناية الكافية والاهتمام الوافر ، وفي ضمن ذلك يكون للتعليم الديني وحفظ القرآن المقام الأوّل طبعاً .

وتعلم اللغة الفرنساوية في الفصل الأوّل ثلاث ساعات وفي الفصل الثاني ست ساعات في الاسبوع ، ويزاد في التعليم الفرنساوي تدريجياً مع الفصول بحيث يكون للتلاميذ في الفصل الخامس وهو الفصل النهائي المقدرة التامة على الدخول في المدارس الثانوية واتباع برامجها .

أما ساعات المدرسة فمن ٢٥ إلى ٣٠ ساعة في الأسبوع وتوزع حسب الحاجة الضرورية لكل فن من الفنون المشار إليها .

وسنة المدرسة عشرة شهور والشهران الباقيان – يوليو وغشت – للعطلة والاستراحة . ولا تعطل المدرسة إلا في الأعياد الإسلامية .

وستقوم المدرسة بنقل التلامذة من المدينة إلى المدرسة في سيارة خاصة وتعيدهم في الوقت المعين .



السيد احمد بلافريج

ويوجد بالمدرسة قسم داخلي – أكل ونوم – منظم نظاما يطمئن له الآباء . ولا يقبل هذا القسم هاته السنة لكون المحل موقتا لا يسع الا تلاميذا . واعتبارا لسنهم تقوم بشؤونهم طائفة من النساء متوفرة فيهن شروط الكفاءة والاهتمام .

وكذلك تتكفل المدرسة أيام العطلة بالتلاميذ الذين ليس لهم وكلاء بالرباط بحيث تقوم بالمحافظة عليهم وترويضهم في المنتزهات والسياحة داخل البلد .

وصفوة القول أن المدرسة هي الأولى من نوعها في أفريقيا الشمالية جامعة العربية والافرنسية تحرص على التربية الإسلامية والمحافظة على الشعائر الدينية وتعود في التلاميذ الخلق المتين والسيرة الحسنة وأداء الصلاة في حينها المفروض

وتقع المدرسة في حديقة غناء . شمس مشرقة . وهواء طيب . ومنظر ساحر . وسائر أسباب الراحة ووسائل الطمأنينة .

فصاحبها الفاضل جدير بالشكر وحريٌّ بالتشجيع من لدن الجميع .

والمدرسة ترتاب في سن التلامذة وما يلزم لطلبة القسم الداخلي من لباس وغير ذلك من اللوازم – يتخابر في شأنها مع

السيد أحمد بلافريج

طريق تمارة الرباط عدد التلفون ١٧-٣٥

***

وهذا بيان الأثمان

داخلي (أكل وسكنى ودراسة)	فرنك ٣٥٠
نصف داخلي	« ١٥٠
خارجي	« ٦٠

مع خصم ١٠ في المائة عن أخوين
و ١٥ في المائة عن ثلاثة

الكتب و النشريات

| النظرة | دخلت النظرة التي يديرها جناب الكاتب القدير الاستاذ السيد محمود عيسى علي بعاصمة الارجنتين في عامها الثالث عشر وهي مثابرة على العمل لصالح المسلمين بقلم راق ونفس عال وإخلاص فعال وعزيمة لا تعرف الملل .

فنهنئ زميلتنا الكريمة ونرجو لها زيادة التقدم والنجاح .

BUENOS-AIRES - Reconquista 1010

***

| الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير | تأليف الاستاذ محمد سعيد الزاهري الذي سبق لنا أن حدثنا عنه القراء ويطلب من مكتبة الاطلس بالرباط .



جمادي الاولى والثانية ١٣٥٣ — السنة الثالثة — Troisième Année — Août-Septembre 1934

مجلة المغرب

تثقيفية عمرانية أدبية — MAJALLAT EL MAGHRIB — مديرها ورئيس تحريرها : محمد الصالح ميسة

مشروعات الشباب

الرباط — إن المدارس الرسمية لا تكفي لنشر التعليم على الوجه الذي يطابق اغراض سائر الطبقات من جهة وقد تكون قليلة بالنسبة الى عدد الراغبين في التعليم ، ولذلك فكثيراً ما تؤسس في مختلف الاقطار مدارس حرّة تعين على نشر المعارف وتربية النشء ، وفي فرنسا وغيرها من بلاد اوروبا وبلاد الشرق آلاف من هاته المدرس التي يرجع اليها حظٌ وافر في نشر الثقافة واعداد الطلبة للمدارس الكبرى ، والمغرب كغيره - بل أكثر من غيره - حاجة اكيدة باتباع الاقطار الاخرى ، وقد توفق أحد أبنائه الكرام ورجاله المخلصين الى العمل لاحداث مدرسة حرّة بالعاصمة نرجو منها خيراً كثيراً ونعلق عليها آمالاً واسعة ، وسيجد القراء في هذا العدد بعض معلومات في شأنها مع صورة للبناية الرفيعة التي ينوى الشروع فيها عما قريب وأخرى للدار الجميلة التي أعدت لهاته السنة ، وليس هذا المشروع - الاول من نوعه - بالامر الهين فانه استلزم من الجهود المادية والمعنوية ما لا يمكن تقديره الا للرجال العاملين ، ولا غرابة في ذلك فإن مؤسس هاته المدرسة الاديب الفاضل الاستاذ الحاج أحمد بلافريج من الرجال الذين يستهينون كل شيء في سبيل العمل المثمر ويستصغرون كل تضحية (ويقدّر ما ينفقه الاستاذ بلافريج باعانة خاله السري الماجد السيد الحاج محمد جسوس عن المدرسة بنحو مليون من ماله الخاص) في خدمة مبادئهم النبيلة ، فنرجو من الامة المغربية الكريمة ان تثبت باقبالها على هاته المدرسة انها أمة حية وندعو لصديقنا بلافريج بكامل النجاح شاكرين صاحب الفخامة المقيم العام ونوابه الافاضل عن اعتنائهم بهذا المشروع العظيم شكراً صادقاً .

***

الجزائر — عقدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في شهر ربيع الثاني اجتماعها السنوي بنادي الترقي بالعاصمة وحضر المؤتمر نحو خمسة آلاف من الناس وحصل على نجاح عظيم ، وللجمعية في القطر الشقيق اعمال لا تذكر الا بالشكر والاعجاب ، فقد جمعت كلمة العلماء والفقهاء ووحدت جهودهم المشتتة ووجهاتهم المختلفة فتعارفوا وكانوا لا يعرف بعضهم بعضاً واجتمعوا وكانوا متفرقين وانتظمت اعمالهم العلمية العمومية وكان يسودها الخلل والفوضى ، وكذلك بثت الجمعية في مختلف إنحاء القطر الوعاظ والمرشدين فقوي الشعور الديني في نفوس المسلمين فأقبلوا على الصالحات من الاعمال وكثر الذين يقيمون الصلاة وقلت الشرور

والافات الاجتماعية وعمرت المساجد وهجرت الحانات ولقد نشرت شركة للخمور مشهورة بيانا بايراداتها وارباحها فقالت فيه إنها الآن تخسر خمسين في المائة مما كان يشربه المسلمون خاصة في عاصمة الجزائر وهي تقول صراحة ان سبب هذه الخسارة هو احد اعضاء الجمعية بدروسه الدينية ومحاضراته التي كانت سبباً في توبة كثير من المومنين ، ونشرت جمعية العلماء رغبة ملحة في طلب العلم فتدافع اطفال المسلمين الى المدارس الفرنسية حتى لم يجدوا فيها مكانا ونشط الناس في كل مدينة وقرية لانشاء المدارس العربية ولتحسين الكتاتيب القرآنية ، ونتيجة اخرى لجمعية العلماء لم يفطن لها أكثر الناس وهي أن الحركة الشيوعية كانت انتشرت في الجزائر واكتسحت الشبيبة واكتسحت العمال ولكن وعاظ الجمعية ومرشديها ودعاتها المنتشرين في انحاء القطر قد أنقذوا هذه الشبيبة وهؤلاء العمال من وباء الشيوعية المفسدة ، فهاته الاعمال جعلت للجمعية منزلة ممتازة في القطر الشقيق الذي استيقظ من سباته وصار يقدر رجال الاصلاح ويحيطهم بعطفه الفعال .

***

سلا — منذ أسس النادي الادبي الاسلامي وهو يكد ويدأب على تنفيذ برنامجه والقرب من الغاية التي ارتسمها لنفسه رغم العقبات التي يجدها امامه ، فقد استطاع هذا النادي أن يعبد طريق النجاح التي تؤديه الى ما يرمي اليه بجمع شمل قدماء التلامذة ومتن ودّ بعضهم لبعض وحبب اليهم الاجتماعات وأوجد منهم جواً ملائماً للمذاكرات الفكرية ومبادلة الاراء ، ومنذ أسس أيضاً وهو يقدم الى مدارس العدوتين عدداً من الكتب جوائز للناجحين في الامتحانات ويعين بعض الطلبة المحتاجين على اتمام تعلمهم اعانة مادية ، وقد يسعى مجلسه الاداري الجديد المتركب من صفوة الشبيبة السلوية المثقفة سعياً حثيثاً في تشييد ناد جميل يليق بسمعة الجمعية الادبية وبتاريخ الفكر المغربي المجيد ، وسيحتوي النادي ان شاء الله على قاعة كبيرة للمحاضرات واخرى للاجتماعات اليومية وغيرها ومن الآن بدأ المجلس اعماله باتحاف الطلبة والادباء بسلسة محاضرات عمومية فتحت فعلا في الشهر الجاري بمحاضرة ألقاها صاحب هذه المجلة في موضوع الترجمة ، وبعده بقليل ألقى مسامرة اخرى الاديب البارع السيد محمد الفاسي رئيس جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا في الرحالة ابن بطوطة ، ولاصحاب النادي « حديث الاسبوع » يلقيه أحد الاعضاء يوم السبت مساء على زملائه ، وسيجد القراء في هذا العدد المحاضرتين المذكورتين مع « حديث اسبوع » للكاتب الفاضل السيد سعيد حجي .

فنتمنى للنادي الادبي السلوي ولمجلسه الاداري ولكافة اعضائه النجاح الذي يستحقونه جزاء على جهودهم المستمرة كما نرجو أن يكون قدوة لأنديتنا الاخرى إن شاء الله .

م. ا.

المؤسسات الخيرية

وادي زم — تأسست جمعية خيرية بادارة السادات: الحاج احمد بن الشرادي رئيس ، ومولاي ادريس العلوي والحاج محمد بن العربي خليفتا الرئيس ، ومحمد بن علية كاتب وجماعة من عمال الناحية وأعيانها أعضاء ، وقد حصلت الجمعية من المخزن بمؤازرة المراقب المدني م. كروا مري الذي يرجع له حظٌ وافر في انجاح هذا المشروع الجليل على إعانة قدرها خمسة وأربعون الف فرنك لبناء ملجأ خيري .

***

الرباط — عرضت الجمعية الخيرية رئاستها الشرفية على عقيلة صاحب الفخامة المقيم العام وتنازلت مدام بونصو للقبول ، وقد سبق لنا أن ذكرنا بعض الاعمال التي قامت بها مدام بونصو في سبيل مشاريع الاحسان بهاته الديار ، وإنا لننتظر من برّها كثيراً ومما علمناه عن طريق الصحافة الفرنسية أن مدام بونصو كلفت ادارات الاقامة العامة بدرس مشروع ملجأ للشيوخ العجزة يبنى بالعاصمة الرباطية وينتظر انجازه عن قريب .

***

اللجنة المركزية — كنا اسلفنا في اجزاء من هذه المجلة رجاءنا الاكيد الى الحكومة أن تعمل ما يرجى منها في هذه الظروف الحرجة الى تأسيس لجنة مركزية خيرية تكلف بتنظيم الاحسان في الايالة تنظيماً عصرياً وتأسيس ما نحتاج اليه من الملاجئ والجمعيات الخيرية في مختلف الانحاء لانتشال المعوزين من ألم الفقر وصدّ غائلة الجوع عن ابناء الحواضر والبوادي ، والبادية التي تكون الاكثرية الساحقة في المغرب يجب أن توجه اليها العناية ويحق أن تنظر اليها الحكومة نظر اهتمام بوجه خاص ، ولا أفضل فيما يظهر لنا من تأسيس هذه اللجنة المركزية التي فيها كل الخير والنفع الشامل ، ونظن أن تنظيم الاحسان لا يستلزم من الميزانية على وجه الاعانة اكثر من بضعة ملايين في السنة وهو قدر تافه بالنسبة للميزانية التي تقرب من المليار ومن جهة أخرى لا شيء بالنسبة الى عظمة المشروع ، وقد قامت الحكومة في المغرب بأعمال سبقت في بعضها حتى الدول الراقية من أوروبا وليس من العسير عليها أن تاتي في هذا الميدان بما تسبق فيه الغير أيضاً . هذا وإنا لمعذورون في الرجوع الى هذا الموضوع وكثرة الالحاح فيه فقد تكونت في الايالة حركة مباركة في سبيل الاسعاف ثم رأينا هاته الحركة خمدت شيئاً ما في بعض المدن وترجع المسئولية فيها على بعض الدوائر الرسمية ، وأوضح مثال لذلك قضية الجمعية المراكشية ، فإن عاصمة الجنوب اكبر مدينة في الايالة وفقراءها يعدون بعشرات الآلاف ، فهي أحوج من غيرها للمؤسسات الخيرية ، الامر الذي فهمه رجالها العاملون فقاموا على ساق الجد وجمعوا المال الكثير وأبلغنا أحد رؤسائها المسلمين أن الحركة لا تقتصر على المدينة وأنه بمجرد تأسيس الجمعية الخيرية سيسعى في تأسيس ملاجئ في القبائل لاهل البادية ، وكان من الواجب تشجيع هاته الحركة ، ولكن ظهر لبعض الموظفين أن في ذلك اغراضاً سياسية فعارضوا المشروع ولم تمض مدّة حتى فشلت العزائم وذهبت الجهود السابقة ادراج الرياح ، والله يعلم أن أهل مراكش عموماً والقائمين بالحركة الخيرية خصوصاً ابعد الناس عن كل ما يسمى بسياسة ، ولا نتهم هنا هؤلاء الموظفين بسوء وإنما نعتقد انهم لم يفهموا الحركة حق الفهم فأخطئوا في تتبعها والحكم عليها لا غير ، وإنا لنامل من انصافهم ان يرجعوا الى حقيقة الواقع فليس في رجوعهم الى الحق ما يحطّ من قدرهم او نفوذهم بين سكان عاصمة الجنوب ، وعلى كل حال فإن هاته القضية ما كانت لتحدث لو كان للاحسان النظام الذي نطلبه ولجنة مركزية تشرف على شئونه .

ونحن نكتب كلمتنا متوجهين بها الى الدوائر العليا وكذلك الى مدام بونصو ويحدونا كل الرجاء في مصادفتها القبول لديها ولا نخالها إلا محققة للفكرة منجزة لها في أقرب حين فاليها نسوق الرغبة ومنها ننتظر المبرّة الجديدة لتضاف إلى سابقاتها ونكون لها في كل وقت من الشاكرين .



المعرفة الانسانية في نظر البحث الحديث

تحدث كلمة « المعرفة » دوياً ونبرة خاصة في أذن الذين اتصلوا اتصالاً قوياً بالحياة الصوفية وروحانياتها فالمعرفة في كلام الصوفيين كلمة ذات سعة وعمق لا يمكن أن يحدّ بمقياس علمي ثابت وانما يتصل بأعماق ما في القلب الانساني من احساس بالحياة المثلى ولن أحاول أن اتحدّث اليكم الليلة عن المعرفة في هذا الجو الروحي السامي إذ أعرف أني مهما بذلت من مجهود في إيضاح ما ترمي اليه هذه اللفظة ذات الحروف السبعة من رموز ومدلولات خانتني شاعريتي ووجدت نفسي بعد أن يجول بي القلم ما يجول في الحدّ الذي أبتدأتُ منه ذلك لأن المعرفة لدى الصوفيين قبل أن يحاول المرء أن يصوّرها في ذهنه من طريق التعاريف والتحديدات المختلفة لا بدّ أن يكون ذا ذوق سليم وذا بصيرة لا تكتفي بما حواليها بل تخترق الحجب فاذا بالانسان أمام الجمال المطلق وأمام حالة خاصة لا يدركها هؤلاء الافراد الذين لم يتصلوا بالتصوّف الا من طريق الدراسات الجافة ؛ فلن أُحاول إذن أن ألج بنفسي وبكم في هذا الميدان الذي لا باب للخروج منه بل انه لميدان مستدير تسير من اليمين الى الشمال فلا تلبث أن تكون في اليمين بعد قليل كانما هي حياة لا أوّل لها ولا اخير ومتى كان لعالم يزخر ويموج بهذه الانوار التي تضئُ النفس وتميت ما فيها من احساسات شريرة أول واخير ؟ ولكن إذا خشينا أن نتحدّث عن المعرفة في عالم التصوّف وعالم الروح فلن نخشاها في عالم ثانٍ له مقاييس ثابتة واصطلاحات معروفة يستطيع كل شخص أن يمتحن استعداده فيه فلا يفشل وفي عالم لا يتعمق في الحياة الا بمقدار ما هو مشاهد ملموس ولا يغور الا والطريقة مصاءة كانما لا غور .

هذا العالم لا ريب أنكم عرفتم اسمه من اوّل وهلة فليس هناك شيء حدّدت جوانبه وقصت اطرافه مثل العلم وعلم مدنية اليوم بصورة خاصة حيث اصبح واضحاً لا يتاح للمرء ان يتيه فيه ولو لحظة .

فلنحاول ان نصوّر في اذهاننا صورة عن المعرفة الانسانية كما تترآى للبحث الحديث الذي هو اساس المدنية الغربية الحاضرة فلن نصادف في طريقنا صعوبة في الموضوع الا صعوبة الدرس ، إذن لنساير العلم لحظة في ان يحدّد لنا المعرفة ويميز اقسامها كانما هو يحدّد ويقسم مادة من هذه المواد التي نلمسها بأيدينا ، وفي محاولة العلم هذه متعة للفكر وسبر لمجهوداته في الكشف عن خبايا الحياة من طريق التجربة والتعليل المادي .

والبحث الحديث لا ينظر الى المعرفة الا باعتبارها نتاج الانسانية في مختلف اطوارها التي درجت عليها في الماضي وتدرج عليها اليوم ، هذا النتاج صورة يتناولها الباحث ويمعن النظر فيها ويقلبها من وجوه ثمّ يبدي فكره ومن خلال الافكار التي ابداها جماعة المفكرين استقرّ الرأي العلمي ان ننظر للمعرفة هذه النظرة ونصورها زبدة لما وصل اليه الانسان سواء من طريق الشعور والاحساس أو من طريق الاستنتاج العقلي أو المنطقي أو من طريق التجربة والاختبار .

ومن هنا جزئت المعرفة ثلاثة اجزاء واستطعنا ان ندخل مختلف الصور التي تعرض للمرء في سائر اطواره الظاهرة في هذا التعريف وهذا التقسيم ونمزج كلّ ما يقدمه الفكر الانساني من انتاج في دائرة نسميها « معرفة بشرية » .

ولم يستطع العلم ان يضع حدوداً فاصلة بين اجزاء المعرفة لدرجة يصبح فيها اللبس بين تلك الاجزاء اشبه شيء بالمستحيل وانما استطاع ان يميز الجزء عن الآخر تميزاً تتصوره كما تتصور كل شيء في العالم النظري للعلم .

وأول جزء من اجزاء المعرفة تلك القوة المبدعة التي اصطلحنا ان نسميها بالفن قوّة يدعها الله في بعض الافراد فاذا بهم يضعون للانسان النماذج العليا لمختلف صور الحياة فيبدعون في الوضع ويتسامون في الابتكار فهم رسل رسالتهم الجمال يتلمسونه في كل محاولاتهم ويسعون اليه في كل خطراتهم وتختلف وسائل تأديتهم لهذه الرسالة فمنهم من يؤدّي رسالته عن طريق الشعر حيث يكوّن من ابياته صورة حية تراها تسير وتراها تضطرم بما تضطرم به صور الحياة الانسانية ومن الفنانين من يؤدي رسالته عن طريق الرسم فاذا بك امام صورة تراها فترى فيها سراً من اسرار الحياة ولا تستطيع أن تتفهم هذا السر اكثر من ان تلفظ كلمة في نفسك هي «الجمال» ومنهم من يتخذ من الصخرة الصماء وسيلة لابراز فكرة في نفسه فاذا بتمثاله يكاد يتكلم ويكاد يسير وهكذا بقية الفنانين فهم يعبرون عن مكنون نفوسهم ويرسمون تلك الصورة التي تترآى لهم في ساعة الهامهم .

واذا انتقلنا الى الجزء الثاني من اجزاء المعرفة الانسانية أو اجزاء النتاج الانساني في نظر البحث الجديد بالاحرى فعلينا لنهتدي اليه ان نفكر في هذه القوّة التي تحضنا ان نقارن وان نستنتج وان نتلمس العلل النظرية لما نشاهد في يومياتنا من حوادث مختلفة وصور متباينة ربما كانت مقدماتها واجدة فهذا الباحث في فلسفة التاريخ وذلك المحلل لشخصية عظيم وذلك المفكر الاجتماعي العميق التفكير كلهم ندخلهم ويدخلهم البحث الحديث في صف الادباء ويعتبرهم افراداً ليسوا ذوي حظ كبير من الخيال وانما هم ذوو حظ كبير من سعة الفكر وسعة التأمل والاستنتاج ينزوون في زاوية فاذا بزاويتهم عالم يموج فيه فكرهم وتأملهم فيهتدي الى آراء يكون لها في الغالب قيمة في الحياة العملية كما لها قيمة كبرى في عالم النظريات .

وإذ تلمسنا الجزء الثالث وهو الاخير لم يصعب علينا الاهداء اليه ولا تغالطنا التعريفات في طريقنا اليه فهو العلم التجريبي الذي لا يعتمد مطلقاً على الاحتمالات بل يتجرد في كل شيء ليشاهد ويجرّب ويحلل العناصر تحليلاً تاماً ثم يردّ كل عنصر منها إلى اصله فإذا بك في ميدان البحث العلمي الصحيح أمام عناصر اولية لا يشوبها مزج ولا اختلاط لكن العالم يقف أمام تلك العناصر بعد عملياته العجيبة حائراً مندهشاً يسائل نفسه ما مصدر هذه العناصر البسيطة هل استطيع ان اهتدي الى تعليل لوجودها أو تعليل لما فيها من قوّة تنفعل وتتجاذب فلا يجد أمامه الا باب الاحتمالات فيلجه مرغماً .

هذه أجزاء المعرفة الانسانية في نظر البحث الحديث فأية صلة تربط هذه الاجزاء وأي احساس يشعر به الفنان نحو أخيه العالم أو الاديب نحو اخيه الفنان؟ فمن الغريب أن تتراءى لنا مخاصمة تلوح في الجوّ بين الآونة والاخرى بين رسل المعرفة فيتفاضلون كأنما هم اطفال في ساحة يلعبون ، ولكن هي الحياة سرها النزاع وعوامل تقدمها حب الذات ، وإلا فأية منافرة نستطيع أن نتصورها بين اجزاء المعرفة

حتى أنه يخيل للعالم في بعض الاحيان أن يضمر عداوة لأخيه الفنان أو الاديب ويخيل لهذين عداوة بينهما فمن الغريب أن نسمع في عصرنا وهو عصر المعرفة والسعة الفكرية من يتصور أن العلم يقضي على الفن والادب يتلاشى أمام البحث التجريبي إلى غير ذلك من الاراء السطحية التي تصور للمرء كأنما للحياة الانسانية ناحية واحدة ليس من المستطاع أن تخرج عنها يراها العالم في معمله والاديب في فكره والفنان في خياله أما الذين أُوتوا نصيباً من حرية النفس ونستطيع أن نسمي هذا النصيب بالشمول الفكري فهم يرون أن كل جزء من أجزاء المعرفة متمم للآخر لا يمكن للحياة أن تسير دونه بل نستطيع أن نرى في العالم فناناً خيالياً وفي الادب عالماً تجريبياً دون أن يندمج الاول في الثاني ولا الثاني في الاول .

فالعالم ايضاً قبل أن ينكب على معمله وتجاربه تتراءى صورة أمام نظره فيعمل على ابرازها للوجود فتشتغل الآت وتميز عناصر ويرى بمجاهير بينما الفنان يستعمل في ابراز صورته الخيالية الريشة او المنقاش او آلة الطرب وبينما العالم يستوحي عقله وتجاربه في تجميل صورته اذ الفنان يستوحي الهامه وشاعريته والاديب يناجي فكره وجولاته. وكل منهم يؤدي رسالته للحياة وهو مطمئن ثائر مطمئن على نفسه ثائر على المجتمع إذ يسعى في كل محاولاته ان يقفز به خطوة الى الامام ويريه من صور الحياة التي لا علم له بها والتي لا يمكن ان يصل الى ادراكها دون هؤلاء الاجزاء الثلاثة .

اذن لا نستطيع ان نفهم جيداً ما تعنى به جماعة من الكتاب السطحيين من وجود شيء يسمى منافرة او عداوة بين اجزاء المعرفة الثلاثة الا ان تكون هناك منافرة بين العالم الجيولوجي وبين الطبيب حيث ان مابين ايديهما من وسائل البحث مختلف ومتباين بينما غايتهما واحدة هي البحث عن اسرار الحياة الانسانية وما غاية الفنان او الاديب الا حصول الانسجام بين اجزاء تلك الاسرار وربطها بالاحساس البشري ووضعها في حيز الذوق المعنوي.

فالروائي مثلا شخص يجمع في نفسه وانتاجه بين روعة الخيال الفني وجزالة الاسلوب الادبي واراء العلم المؤيدة بدعائم التجاريب والابحاث العملية بل ان الاديب والفنان عند ما يبلغان قمة المجد والنبوغ كثيراً ما يكشفان حجباً عن النفس الانسانية وعن اسرار المجتمع لا يستطيع العلم أن يدركها بطرقه الا بعد اجيال ولنا في شعرائنا وادبائنا وشعراء وادباء بقية الامم خير مثال .

فالشاعر ليس بذلك الرجل التائه في بيداء الخيال كما تزعم طائفة من المشتغلين بالعلم التجريبي بل هو الرجل الذي يتصل حسه وشعوره بالوجود من طريق تلك العاطفة التي هي جزء من اجزاء النفس البشرية فاذا بالشاعر يضع من طريق شعره النماذج التي ينبغي أن تكون مثلا حياً لما في النفس من نزعات متضاربة لم يتصل العلم بها اتصالا متيناً ولم يحللها الا تحليلا بسيطاً وهكذا سائر الفنانين يعبرون عن هذا الجزء الغامض من نفس الانسان بينما العلم لا يجرأ ان يقدم لنا تحليلا نرضاه عن ذلك الجزء من نفسنا .

هكذا جزأ البحث الحديث ما يسمى بالمعرفة اما لو احببنا وحاولنا ان ناخذ كل جزء من تلك الاجزاء ونحصي ونرتب ما يتفرع عنه لاضطررنا ولا ريب الى احاديث في سهرات اخرى فالمعرفة اليوم تنوعت أكثر من ذي قبل وهي في نمو مدهش متواصل فلا تمر مناسبة دون ان يستولد البحث علماً جديداً ويبني له دعائم واساليب التفكير به اما الادب فقد اتسع ميدانه وشمل مباحث كانت تعد بالامس القريب من صميم العلم ومباحث جديدة لم يعهدها آباؤنا

الاولون ، واما الفن واساسه الوحيد الخيال والاحساس فلم يتنوع ولم تزدد فروعه زيادة محسوسة وان كان النابغون الفنانون خطوا به في عالم النضوج الصحيح وتأدية رسالته المثلى للبشرية وتعبيره عن الاحساس الانساني خير تعبير .

على أننا لو فكرنا أن نضع تخطيطاً لما يشتمل عليه كل فرع عن تلك الفروع لكان مجهودنا عبثاً بعد سنوات لان الحياة الفكرية للانسان في تطوّر مستمر ونمو متواصل ولقد سعى الفلاسفة أن يحصروا العلوم ويصنفوها ويرتبوا مراتب الانتاج الانساني في العهد الماضي وفي المكاتب اليوم مؤلفات لهذا الغرض ذاته لا ننظر اليها الآن الا من ناحية تاريخية بحته لنرى كيف تطور نظر الانسان فيما ينتجه.

وكلمة ختامية آتي بها متسائلا: هل هذه الاجزاء الثلاثة للمعرفة تعبر عن كل ما تستطيع نفس الانسان أن تغور فيه وهل تكفي تلك الاجزاء من المعرفة أن تزيل كل ما يتراءى للانسان من ضباب وانفعالات في هذه الحياة وأن تشبع ما في اعماق نفوسنا من نزعات متضاربة ؟

ان مدنية هي مدنيتنا الحاضرة قامت في التاريخ الحديث على دعائم هذه الاجزاء دون غيرها وقد خطت بالانسانية في سبيل مبتغاها المادي خطوات ننظر اليها اليوم متفائلين فاذا ما أمعنا النظر في عناصر هذه المدنية بين مختلف الجماعات التي تتحمل اعباءها رأينا - وبالاسف - القوّة النفسية الروحية لتلك الجماعات تنحل تدريجياً وتموت في نفوسهم معنى الايمان بالحياة في اسمى معانيه وهذا الايمان هو أول عنصر من عناصر السير بالجماعات في سبيل انشودتها العالية مما بعث روح التشاؤم في كثير ممن يصلون بين التاريخ الانساني في مختلف مراحله ويستخرجون منه عبرة للحاضر والمستقبل فا للغرب من مدنية سيطر عليه الاتجاه المادي سيطرة تامة فأصبح الانسان لا يتطلب السعادة الروحية بمقدار ما يسعى لاشباع رغباته الجسمية مع اعترافنا أن تلك الاجزاء الثلاثة للمعرفة تخطو خطواتها في عالم الازدهار وتحرز النصر أثر النصر ولكن المدنية الغربية تتراءى لكثير من الفلاسفة ان بناءها سينهار يوماً قريباً والجماهير في الغرب سأمت المادة وتتجه اليوم صوب الروحانية وتصبو الى غذاء يقوي سيرها وخطواتها .

فهل نستطيع اذن أن نجيب على أسئلتنا الماضية بالايجاب فلا نرى أن تلك الاجزاء الثلاثة كافية لاشباع ما في نفوسنا من غور ونزعة وتمرّد .؟

سؤال وجواب ليس لهما من موضوع في كلمتنا هذه الا أن يبعثا في المرء روح البحث وروح التساؤل عن مخبئات النفس الانسانية التي لا أظن أن البحث الحديث اهتدى إلى حل الغازها أكثر مما اهتدى الانسان النير في أول خطوات الحياة الفكرية ذلك أن المرء لم يشتغل كثيراً في تفهم نفسه بل ابتعد عن تلك المحاولات واهتم بالمادة يحللها ويؤلف منها ما يساعده على اشباع رغباته .

سعيد حجي

حول الترجمة والتاليف والنشر

الترجمــة

لقد سبق لنا ان نشرنا عدة مقالات تناولت هذا الموضوع ونرجع اليه اليوم لان الترجمة أهم الاغراض التي تأسست لاجلها الجمعية المغربية للترجمة والتاليف والنشر ولانها من اكبر الوسائل التي ينبغي لنا أن نستخدمها للنهوض من رقدتنا واللحاق بغيرنا من الامم الراقية .

ونريد في هذه المحاضرة ان نتناول المسائل الأتية - ضرورة الترجمة واسلوب الترجمة وقابلية اللغة العربية لشؤن الحضارة العصرية - وكثيراً ما كتب في هاته المسائل وقتلت بحثاً ولاكن لا باس باعادة القول فيها زيادة في البيان وترويجاً للفكرة .

فان ضرورة الترجمة تكاد ان تكون أمراً مسلماً ، ولاكن اقواماً

لا زالوا يعيشون في القرون الغابرة ولم يتنبهوا الى الانقلاب العظيم الذي بدل الارض غير الارض والسماوات يرون ان لدينا كل ما نحتاج اليه من اسباب السعادة وليس في علوم غيرنا ما ننتفع به في شيء ونسمع آخرين يدعون الى نقل بعض العلوم وبالاخص منها ما يتعلق بالصناعات لا غير ويزعمون انه لا مصلحة فيما عداها كأن الحضارة شيء يتجزأ وكأنه يمكن الفصل بين الوسط وبين أهله .

وهؤلاء يفرقون بين الحضارات وفي ضمن ما يذهبون اليه ان الحضارة الغربية مادية والحضارة الشرقية روحية وعلى أساس هاته التفرقة يحبون أن نسعى في سبيل الرقي .

ولا يقتصر القوم على المقابلة بين الشرق القديم والغرب الحديث فيكون لها معنى جدير بالتأمل بل انهم يقيمون هاته المقابلة حتى اليوم بين الشرق المتأخر والغرب المتقدم وهذا من باب اهمال الواقع والتنكب عن جادة الصواب .

فان الشرق في هذا العصر عبارة عن حكومات جائرة وامم حائرة واوصياء يأكلون الايتام وقضاة يرتشون وعلماء يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً وفساد في الاخلاق وخرافات في العقائد وبخل في المال ، على ان درهماً واحداً ينفق في مدرسة أو ملجا أو اعانة متعلم أو مساعدة نادر خير من عبادة الدهر كله ، وأزاء هذا العالم المتداعي يتجلى الغرب وكله حياة وعلم وقوة وجمال ، هناك الملاجى والمستشفيات في كل قرية ومدينة ، هناك المدارس والكليات والمتاحف وخزائن الكتب غصة برواد المعارف عن اختلاف اصنافهم ، هناك الجمعيات تنشر في أقطار الارض الارساليات المدعوة الى دينها وثقافتها وتصرف في ذلك المبالغ الطائلة من المال ، وهناك الرجال والنساء يتبرعون بثرواتهم في سبيل رفعة الوطن واعلاء شأنه .

ان من بين المروجين لهذه الفكرة عدداً من ادباء الغرب يتضجرون من دوي المكينات ويتأففون من دخان المعامل فهم يلتفتون الى الشرق وينظرون اليه ببصر الفنان البعيد عن الحقائق فيعجبهم سكونه ويرون فيه أثر الحكمة ومفعول الاعتدال الفكري ، وقد يتقبل الشرقي احيانا ما يكتبونه بكثير من الارتياح لما يجد من تهوين على النفس في الحط من تفوق الغرب الجبار ، وهؤلاء الادباء يتمثلون الحكمة في الشرقي ما دام يرتدي ثوباً فضفاضاً ويتحرك وينطق بحساب ولا يتأثر لشيء ، فهم كالشعراء الذين يتغنون بالبوادي وبيوتها الشعرية ولو اجبروا على الاقامة بها بضعة ايام لتركوا القوافي بتاتا وابعدوا عنهم جن القريض ، اما اذا صار الشرقي كالغربي يركض في ميدان الحياة ركضاً فانه لا تبقى له في أعينهم قيمة رغماً عن شرقيته .

وقد مضت قرون والمسلمون هم الساعون ، الراكضون في طرق الدنيا ، العاملون المفتتنون بالحياة حتى ضاقت بهم الارض وحاولوا الرقي الى السماء ، فكان للناظر اليهم اذ ذاك ان يقول : اكلت المادة المسلمين وتسلطت عليهم الشهوات ، والغرب أمامهم بأديارة وهدو أمصاره وسكينة أهاليه يدعوهم الى المدنية الروحية والسعادة الحقة ولا يسمعون ، فوا أسفا على الشرق المفتون !

ولا ننكر ان للشعوب استعدادات وتجليات مختلفة ، فان الرومان مثلاً ملكوا الارض قروناً عديدة وأهم ما بقي من عصرهم بناءات متينة وقناطر رصينة وطرق معبدة وغير ذلك من الآثار التي تدل على ماكان لهم من الاعتناء بتنظيم الممالك وتعمير البلاد ، وجاء بعدهم العرب وأهم ما نشاهده منهم نشر الدين واللغة ونجحوا في ذلك الى حد ان غالب الامم التي احتلوها اندمجت فيهم كليا وصارت الان تنتسب للعرب في كل شيء ، على انه لا يلزم من هذا ان الرومان لم يعتنوا الا بالمواصلات والبناء ، وان العرب لم يعتنوا الا بنشر الاسلام والثقافة الاسلامية ، فقد ترك الرومان ادبا رائعاً وفناً عالياً وقانونا لا زال الى الان مرجعاً للحقوقيين ، ولم يقتصر العرب من جهتهم على التبشير بالدين واذاعة نور اليقين بل كان لهم أيضاً اهتمام شديد بتعمير القفار وتزيين الامصار وتنظيم الاسواق حتى حق ان يقال : « ان احتلال العرب سوق وجامع » وفي كثير من البناءات التاريخية باوروبا آثار بينة من هندسة الحضارة الاسلامية التي تكونت على يد العرب ويذكر المؤرخون ان المسلمين شاركوا مباشرة في بعض هاته البناءات ويعدون منها كنيسة باريس الكبرى المقامة للعذراء ، وفي الآثار التي اكتشفت اخيراً بـ« شالة » صورة مصغرة للمدنيتين : فمن جهة القوة في مدينة رومانية ذات حيطان صلبة وازقة مرصفة بالحجر الصلد ، وتماثيل من المرمر المنحوت ، ومن جهة اخرى الظرف والرقة في مدرسة عربية مفروشة بزليج يلمع كالذهب في صفرة متعبد ولهان ومأذنة رفيعة

تتصل بالسماء وبيوت خلت من سكانها وكأن الذكر الحكيم لا زال يرتل بين جدرانها وفي صحن المدرسة حوض كان مردوماً وبمجرد ما ازيل عنه التراب جعل الماء يجري فيه من جديد كما كان يجري قبل من قنوات خفية بقيت سالمة مع مرور الايام.

ولقد يلاحظ الانسان في باب المقابلة بين الحضارتين ان الغربيين شديدو الاعتناء بتخليد رجالهم ووقائع تاريخهم بالبناءات والتماثيل وهو ما كان عليه اليونان والرومان حالة ان المسلمين يستقبحون سائر انواع الصور الممثلة للخليقة ويستنكرون حتى البناء على القبور، ولا شك ان مما يستغربه الشرقي اثناء سياحته باوروبا كثرة التماثيل فيها فانه لا تكاد تخلو ساحة في الحواضر من انصاب على مختلف الاشكال قد يكون الباعث عليها احيانا حب الزينة وتعمير الفضاء فقط وقد تكون هاته الانصاب تارات لرجال لا قيمة لهم، كالشمتال الضخم الذي شوهت به الملكة فيكتوريا عاصمة الانجليز لابقاء ذكر زوجها وجعلت تحت قدميه صور عظماء العالم، وجرت الدار البيضاء على هذا المنوال بوضعها تمثالا لـ « دلبياز » في مركز يعتبر باب المغرب ومن الانسب ان لا يكون لمثل هذا الرجل الذي تتفق عناصر هذا الوطن على جهل حياته، وأبين من ذلك وجود تماثيل فنية في الحدائق والمتاحف والسبل وحتى في المعابد تصور الانسان مجرداً مكشوف العورة ولا يستنكر النساء الوقوف مع اولادهن امام هاته الاصنام التي تظهر عليها الذكورة احيانا باقوى مظاهرها بينما المرأة العربية تغلق عليها الابواب وتسدل الحجب تستراً وحشمة.

وهنا أيضاً لا ينبغي فصل الحضارتين تماماً فان اجلال بعض الرجال ادى المسلمين منذ قديم الى بناء القبب على أضرحتهم وحديثاً الى اقامة بعض تماثيل تقليدا للاوربيين، ثم ان تلك الغربية التي لا تستنكر العرى يشق عليها ان تعلم فتاتها الصغيرة بعض ما تحتاج اليه من لوازم الانوثة وكم ندد الاطباء على الغربيات اهمالهن هذا القسم من التربية حالة ان بناتنا في البيوت المغلقة يعرفن كل ضروريات جنسهن المكلوم.

فهذه مظاهر مختلفة لنفسيات مختلفة تتميز بها الامم بعضها عن بعض، ولكل امة صفات تفارق فيها الاخرى ويجب عليها الاحتفاظ بها، فاذا ما اقتبست من غيرها اشياء فينبغي لها ان تتحاشى كل ما يعارض ذا تيتها وان تحيط صفاتها ومواهبها الخاصة بسياج من حديد، وليكن النـاس على دين الله لا على دين ملوكهم فللمرء أن يدخل على الدار التي آوت الاباء ما شاء من اصلاح وعلى الشجرة التي غرسها الاجداد ما أحب من علاج، ولكن حاذر أن تنقض الاساس أو تبت العروق، وان تفعل فقد تكون فتشت على حتفك بظلفك وقصدت الحيـاة فأتتك الموت وفي مثل هذا يصدق البيت العربي.

لكل جديد لذة غير أنني
وجدت جديد الموت غير لذيذ

ولكن فيما عدا ذلك لا تباين بين شعوب الارض ومختلف عناصر البشر في شأن المدنية التي هي واحدة، فان المدينة هي علم الحيـاة وان المدنية جهاد في كل شيء والقاعدون ليست لهم مدنية أصلاً.

ونتيجة هذا الاستطراد انه من الخير لنا أن ننبذ فكرة معارضة المدنية الغربية بالشرقية على النحو الذي أشرنا اليه وأقل ما يعاب من هاته الفكرة أنهـا من اسباب اغواء الامم الراقدة وتخديرهـا تخديراً يؤديها الى الفناء، ومن الخير لنا أيضاً أن ننظر الى الحضارة العصرية نظر المؤمن بتفوقها الواثق بمنفعتها وان نسلك كل طرقها ونتخذ جميع اساليبها من غير تردد في أمر ما عدا الدين واللغة وبعض الفروق الراجعة الى البيئة أو الجنس أو التـاريخ في تصور الحياة وتذوق الجمال وعلاقة النساء بالرجال والابناء بالاباء وغير ذلك من الشؤون.

فالترجمة التي من أغراضهـا نقل الحضارة العصرية الى لغتنـا ينبغي أن لا تقتصر على أشيـاء وتهمل اخرى اذ ان رقي الفكر البشري يتناول سائر ما ينبني عليه العمران من ماديات ومعنويات وان كنا عزلنا عن دائرة ما نقتبسه من الحضـارة الغربية بعض المميزات فليس معنى ذلك ان هاته المميزات لا يعتريهـا أدنى تغيير وانا لا نستفيد في شأنها من انتاج العصر، فانه لا توجد على وجه البسيطة طائفة من الخلق ليس في لغتها وعوائدها ومعتقداتها اشياء دخلت عليها من غيرها ومن أبعد الناس عليها تارات، وما من شعب يلعب دورا في الدنيا الا ويترك أثراً يزداد الى غيره من آثار الشعوب الاخرى.

وقد استعمل اجدادنا الترجمة ابان دخولهم في ميدان العـالم

فنقلوا عن الهند ونقلوا عن الفرس ونقلوا عن اليونان واللاتان في سائر العلوم وحولوا الى لغتهم ذخائر المدنيات التي سبقتهم وكتب الجاحظ ، « انا لو لم تكن لدينا كتب الاوائل التي خلدوا فيها حكمتهم وعلمهم والتي ذكروا فيها تاريخهم وأعمالهم حتى نكاد أن نراهم باعيننا ولو لم تكن عندنا ثروة تجاربهم لكان حظنا من الحكمة والعلم صغيراً ضئيلا » ثم انهم أخذوا في العمل وأنموا ما كان تحصل لديهم من ثروة البشر بفضل ما انتجته قرائحهم ، فكانت مدنية انارت الدنيا وأضاءت ارجاءه قروناً طوالاً ، ونقل العرب علوم الاوائل في زمن كانوا فيه أهل الكلمة النافذة والامر المطاع وهم قريبو العهد بالوحي وفي آذانهم صدى ذلك الصوت الخارج من اعماق الدهور على لسان خير ناطق عن اسرار السماوات ، وعن العرب نقل الغربيون وزادوا كما فعل العرب من قبل وبهذا تظهر المدنية سلسلة متصلة الحلقات وعقداً منتسق الجواهر.

وسبق الكلام في اللغة وأشرنا الى وجوب المحافظة عليها وءافة اللغة الترجمة الحرفية ولهذا فيحسن بالمترجم أن يعني بنقل المعنى من غير كبير مبالاة بالالفاظ ما لم يكن الموضوع مما تنبغي فيه الترجمة الحرفية كالوثائق السياسية مثلا وان يبذل الجهد في افراغ المعنى المقصود في قالب اللغة التي ينقل اليها بحيث ان القارئ يظنه من هاته اللغة أصالة ، ولا يخفى ان ذلك من أصعب الاشياء بل يكاد ان يكون من قبيل المستحيل في اللغات التي تتباين كثيراً من حيث أساليبها ونفسيات المتكلمين بها كالعربية مع اللغات الاوربية وقد يبذل المترجم ما يبذل من الجهود للتنصل من النص الذي يريد نقله ولا يتوصل الى ما يرضيه تماماً .

فان استفادت لغة الضاد من الترجمة وما في معناها من اسباب الاتصال بالمدنية أساليب وصوراً مستحسنة فان قصور بعض المترجين وتأثر بعض الكتاب بذلك ادىا الى استعمال مفردات وتراكيب تستوقف النظر ، ومن هذا الصنف قولهم : « الاقامة العامة » في تعريب résidence générale و « الولاية العامة » في تعريب gouvernement général ومسك الدفاتر في تعريب tenue des livres بحمل الكلمة الاعجمية على معناها الاصلي ، « واعطى الكلمة » بمعنى احال الكلام donner la parole « ومدرسة » لتعريب كلمة école في اصطلاحها المعنوي «ورد فعل » réaction و « سكرتير »

أي كاتب على ان استعمال اللفظ العربي لا يحط من منزلة حامله ولو اريد « كاتب السر » وقد كان يطلق على الوزير ، و « بحثت عبثاً » vainement وقولهم : « اجتمعت بفلان الذي قال لي » بدل « فقال لي » و « ان كتب وخطب ورسائل فلان » استعمالا للعطف على الاسلوب الافرنجي ، وفي كتاب فيلسوف العرب أمين الريحاني في الملك فيصل : « هذا الكتاب اذا كان لا يجوز ان يدعى تاريخاً بمعنى الكلمة المدرسي هو في الاقل مصدر ثقة يرجع اليه من قد يكتب في المستقبل تاريخ النهضة العربية والعراق » وفي منشور لهيأة عالمية موقرة هاته الجملة في تفنيد خبر : « ان هذا الخبر لا ظل له من الحقيقة » ومن ذلك استعمال « المكتب الدائمي » بزيادة الياء لتعريب bureau permanent و « الفروض الخاطئة » لتعريب hypothèses erronées و « الحياة التي يعيش » واستعمال لفظة « لون » فيقال « لون » من الادب « ولون » من الذوق وهناك من كتب « لون من الانين » وللاستاذ محمد الصادق الرافعي « الوجود النسوي » présence féminine وتستعمل كلمة « موجود » في المغرب بمعنى حاضر استعمالاً حسناً ، ولما توفي الملك فيصل برزت جملة من الجرائد العربية مجللة بالسواد حاملة بحروف غليظة الكلمة الذائعة عند الافرنج « مات الملك فليحي الملك ! » وفي رسالة للصاحب ابن عباد « مات الميت فليحي الحي » ومن ذلك قولهم : « يبحث القضية وينظر الامر » واستعمال « في » يبحث في القضية وينظر في الامر بما يناسب المعنى الذي يقصدون تاديته ، وهي من الحروف التي لم تضعف كغيرها في العربية بل زادت قوة وصار لها في اللغة الدارجة استعمال للدلالة على الايغال والاسترسال في الفعل كما في قولهم « نضرب فيه » « ونوبخ فيه » وغير ذلك ولعل لهذا الحرف شأناً في المستقبل ، وللاستاذ طه حسين في كتابه « على هامش السيرة » مثل هذه العبارة : « ثمّ يشرق الفجر ويرتفع الضحى ويضطرب الناس في امورهم وقد قطعوا ليلاً جاهلاً غافلاً » ويضطرب هنا تعريب لفظة s'agiter وبهذا المعنى نفسه استعملها الكاتب الافرنسي اناتول فرانس Anatole France وكثيراً ما يحاول الكاتب المصري تقليد اسلوبه ، ويستحسن استعماله المضارع على النمط الفرنسي ، والاستاذ طه حسين يذهب في التقليد الى حد بعيد في الانشاء وفي الافكار أيضاً ، ومن ذلك في مقال منه يتعلق بالصحابي

مصعب بن عمير رضي الله عنه : «فجلس (أي مصعب) غير بعيد واستمع للقوم (شيوخ قريش يتحدثون في المسجد عن النبي صلى الله عليه وسلم) فاذا هم يختصمون في هذا الرجل الذي أحدث في مدينتهم حدثاً ليس منهم الاكاره له لانه يغير ما ألفوا من دين وينكر ما ورثوا من سنة ويؤلب الفقراء على الاغنياء ويثير الضعفاء بالاقوياء ويجمع اليه اخلاطاً من الناس فيهم الحر البائس والرقيق اليائس ... » فلفظ « يختصمون » تعريب disputer وليست في كتابة طه على معناها المتداول بل على معناها الخاص عندبعض الكتاب في مثل الجدل بمجالس الفلاسفة قديماً ثم ان هاته النبذة تصور مجلس النبي صلى الله عليه وسلم كما يصور النصارى مجلساً للمسيح عليه السلام، وللمصلح السيد رشيد رضا « حجر زاوية السياسة العربية » pierre angulaire والسيد رشيد رضا انتقد على فقيه العربية المنفلوطي مثل استعماله كلمة (بسيطة) بمعنى ساذجه simple والبسطاء يريد الاغرار والانتقاد هنا فيه نفي للتصرف الحسن، ومثل قوله : « لتحققت انه ابله الى النهاية من البلاهة » ويريد أن يقول « جم البلاهة » ومن هذا الباب استعمال الفاظ مثل «العبادة» بمعنى الحب « والاه الغرام » من بقايا الميتولجيا اليونانية لا تتفق مع النفسية العربية وروح الاسلام، ومثل فعل « خلق » وكثرة استعمال مثل « الجبار » و « الخالد » و « الرسالة » من الالفاظ الضخمة التي نجدها تحت اقلام الكتاب حتى في اتفه الاشياء .

وكذلك لم تسلم العربية من تأثير الترجمة على هذا المنوال عند نقل كتب اليونان وغيرهم ، ومن ذلك استعمال « الصوت الثقيل والصوت الحاد » في ابن رشد على سبيل التعريب الحرفي للاصل الباقي بالافرنسية في قولهم : son grave et son aigu وقولهم «روحاني ونفساني» بادخال الالف والنون قبل ياء النسبة وما أشبه ذلك.

الا أنه ليس فيما ذكرناه وما لاحظه البعض بشأن ما سموه بلغة الجرائد ما يدعو الى الخوف على العربية فستصلح اللغة اشياء وتهضم اخرى وتبقى عدة مفردات وتراكيب على ما فيها من الخطأ فتصير باستعمالها مع مر الزمان مقبولة عند الكتاب ، وهذا نفس ما نشاهده في سائر اللغات ولا يمكن التحفظ منه بحال .

ثم ان الاراء مختلفة في انسب طريق لادخال المسميات الجديدة في العربية والجدال عنيف في هذا الموضوع والايام تطوى ونحن نشتغل بالكماليات حالة انه لم تتوفر لدينا حتى الضروريات الى الان ، ولم يقف اجدادنا امام مصطلحات اليونان والهند وفارس وقوفنا هذا بل ساروا في الترجمة احرارا مطلقين تارة ينقلون المفردات بلفظها كالديوان والبريد والطراز والبنج والزرنيخ ومارستان والبوتقة من الفارسية والدرهم والبطاقة والاسطول والسقمونيا والترياق ومنخوليا والقيراط والاسطرلاب والفلسفة والمغنطيس والقاموس والاقليم والقانون من اليونانية وتارة اخرى يتخذون من لغتهم ما يطابق من المصطلحات ويصوغون ما يحتاجون اليه من الالفاظ ، وذهب بهم الحال احيانا الى انشاء اشكال جديدة في اللغة صارت الان مسلمة عند اللغويين فقالوا اللانهاية واللاادرية ونقول بفضلهم اللاسلكي وقالوا الكيفية والكمية وغير ذلك من التعابير .

وكذلك على هذا المنوال درج الغرب عند نقله العلوم عن العرب ، فانه أخذ من لغة الضاد عدداً لا يستهان به من شتى المسميات بلفظها ومما يلاحظ انه أخذ أيضاً عدداً من الالفاظ الاعجمية عن العرب لا عن لغتها الاصلية كاليونانية واللاتينية اللتين يستمد منها ثقافته ولغته ، وطريق هذا الاخذ تدل عليه اداة التعريف الباقية في بعضها .

والحق أن الظروف تقضي علينا في هذا العصر بالتساهل في نقل كثير من المسميات الجديدة بلفظها الى العربية ، فان جل المصطلحات العلمية من بينها تستعمل في جميع اللغات حتى صارت كالاعلام وقد يؤدي تعريبها — مع ما فيه من جهود ليس لنا متسع ولا مسوغ للقيام بها — الى انعزالنا عن بقية العالم وحركته الفكرية وتطوره المسترسل ولا يخفى ما في ذلك من الاضرار المادية والادبية .

وهناك مسألة كثيراً ما تلقى على بساط البحث فيؤلمنا الخوض فيها لأنها في الحقيقة ترمي الى أضعاف ثقتنا باللغة العربية وحمل الاقطار الاسلامية على اهمالها واستبدالها بغيرها ، وقد فعل الاتراك ذلك حالة أن آكد الواجبات علينا التمسك بلغتنا لانها اللغة التي نزل بها القرآن المبين ولأنها اللغة التي تنسب الينا واليها تنسب وبها نعرف فاذا نحن أضعناها فانما نضيع نسباً وننشد حياة وندحرج كياننا في سحيق بهيم من هوة النكرات .

(البقية في العدد القابل)

ابن بطوطة ورحلته

اريد ان احدثكم اليوم عن احد العظماء الذين انجبتهم الارض المغربية وكان لهم الحظ الاكبر في بناء صرح المدنية العربية ببلادنا واعنى به ذلكم الرحالة الشهير أبا عبد الله بن بطوطة .

ولد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن بطوطة اللواتى بمدينة طنجة يوم الاثنين ١٧ رجب سنة ٧٠٣ (٢٤ فبراير سنة ١٣٠٤) ، واصل عائلته من قبيلة لواتة في شمال المغرب الاقصى ، وكان أفراد هذه العائلة يتعاطون العلم ويتولون مناصب القضاء والتدريس(١) فاعتنى ابوه بتربيته فقرأ على مشايخ بلده ، وشب أبو عبد الله متدينا ورعا وكان له من صباه شوق كبير إلى اداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره لم يطق صبراً على تنفيذ نيته رغم ما في ذلك من الصعوبات نظراً لصغر سنه وانفراده في السفر وفراقه لاهله واحبابه فآثر القيام بواجبه الديني على هناء العيش وراحته ، ولننصت إليه يحدثنا عن مغادرته لطنجة قال : « كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام ٧٢٥ (١٤ يونيه سنة ١٣٢٥) معتمداً حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، منفرداً عن رفيق آنس بصحبته ، وركب اكون في جملته ، لباعث من النفس شديد العزائم ، وشوق الى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازيم ، فجزمت امري على هجر الاناث من الاحباب والذكور ، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور ، وكان والديّ بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا ، ولقيت كما لقيا نصبا . » (١)

وقد كان له باعث آخر وهو محبته للسياحة والاطلاع على احوال البلاد والتعرف بالعلماء والصلحاء كما اشار الى ذلك في بطون رحلته (٢) وبلغ به هذا الولوع إلى درجة انه كان كما يقول : « ومن عادتي في سفري ان لا اعود على طريق سلكتها ما أمكنني ذلك » (٣) حتى يمكنه ان يرى طريقاً جديدة واقطاراً لم يشاهدها .

قصد ابن بطوطة المشرق على طريق البر مخترقاً المغرب الاقصى والجزائر وتونس ، وفي أوائل القرن الثامن كانت الوحدة المغربية قد انفصمت بذهاب دولة الموحدين واشتغال بني مرين بتدعيم اركان دولتهم بالمغرب الاقصى والاندلس ، فقامت دولة بني عبد الوادي بتلمسان ودولة بني حفص بتونس ، وقد كان استرجع المرينيون تلمسان قبل سفر ابن بطوطة ولاكن في ايام السلطان أبي سعيد عثمان (٧١٠-٧٣٢/١٣١٠-١٣٣١) عند ما خرج ابن بطوطة من المغرب الاقصى كانت تلمسان في ملك بني عبد الوادي .

لا يمكننا ان نتبع ابن بطوطة في كل أسفاره وقد دامت ما يقرب من الثلاثين سنة جاب في اثنائها القسم الاكبر من المعمور شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً فقد زار افريقيا الشمالية ومصر والشام والقدس وجزيرة العرب والعراق وبلاد العجم واليمن وشواطئ افريقيا الشرقية وعمان وآسيا

ملاحظة — اني استعمل كلمة « المغرب » بمعناها الاصلي أي مقابل المشرق أعني افريقيا الشمالية والاندلس .

(١) كان قاضي مدينة رندة بالاندلس لما زارها المترجم سنة ١٥٠ أبا القاسم محمد بن يحيى بن بطوطة وهو ابن عمه .

(١) رحلة ج ١ ص ١٢ - ١٣ من طبعة باريس ١٨٥٣ - ١٨٥٩ . وكلما احلت على الرحلة فالمقصود هذه الطبعة

(٢) رحلة ج ١ ص ٣٨

(٣) رحلة ج ٢ ص ٢١

الصغرى وروسيا الجنوبية والامبراطورية البيزانطية وبلاد التتر والتركستان والافغنستان والسند والهند والصين وجزر المحيط الهادي كسيلان وجاوة وذيبة المهل Les Iles Maldives[1] وغيرها وعند ما رجع الى المغرب قصد الاندلس ثم توجه إلى أواسط افريقيا ورجع بعد هذه الاسفار الطويلة إلى مدينة فاس .

وقبل الاشارة إلى اهم الوقائع التي حدثت له في تنقلاته في أطراف البلاد نريد ان نتكلم على كتابه « تحفة النظار ، في غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار . » المشهور برحلة ابن بطوطة وهذا المؤلف قد حاز شهرة عالمية لما احتوى عليه من الفوائد الهامة فيما يرجع للجغرافية والتاريخ واحوال البلاد الاجتماعية في القرون الوسطى وهو من أول الكتب التي أهتم بها علماء الاستشراق والجغرافية والتاريخ في أول القرن التاسع عشر وعولوا عليها في تعرف بلاد الشرق وماضيها .

وأول من نبه علماء الغرب إلى هذه الرحلة العالم الالماني سيتزين Seetzen فقد عثر في بلاد المشرق على نسخة من مختصر كتاب ابن بطوطة فلخصه في مجلة المانية[2] في سنة ١٨٠٨ ، واهتم بعده العلماء بهذا المختصر فطبعوه وترجموه وعلقوا عليه[3].

وعثر بعد ذلك السائح الانكليزي بركهارت Burckhardt[4] على ثلاث نسخ من مختصر آخر للرحلة اطول من الاول فترجمه المستشرق لي Lee إلى الانكليزية مع حواش ضافية تفسر غامضه وتبين فوائده .

(١) واصل اسم هذه الجزيرة بالفرنسية عربي الا انهم قدموا المهل على ذيبة فقالوا Maldives

(٢) Zach's Monatliche Correspondenz, Band XVII, s., pp. 293-304.

(٣) انظر المصادر في آخر البحث

(٤) وقد عقد فصلا على ابن بطوطة في ذيل كتابه « رحلة الى بلاد النوبة » Travels in Nubie, 2e éd. Londres, 1822, in-4, pp. 487-492.

وفي سنة ١٨٤٠ ظهر في الاشبونة عاصمة البرتغال الجزء الاول من الرحلة مترجماً إلى اللغة البرتغاليه ، وقد ترجمه الاب مورا José de Santo-Autonio Moura عن نسخة تامة اشتراها بفاس سنة ١٧٩٧[1].

وبعد هذا تعرض الفرنسيون لرحلة ابن بطوطة بالنشر والترجمة والتعليق فمنهم من اهتم بالقسم الراجع لبلاد العجم ومنهم من اعتنى بما يختص بالسودان أو الصين أو الهند الخ ، وفيما بين سنة ١٨٥٣ وسنة ١٨٥٩ ظهرت أول ترجمة تامة للرحلة باللغة الفرنسية مع الاصل العربي[2] وقد طبعت هذه الترجمة خمس مرات في بحر أربعين سنة .

وترجم الرحلة الى الالمانية المستشرق مزيك وطبعت الترجمة سنة ١٩١٢ .

وترجمها الى التركية محمد شريف صهر السلطان وطبعت الترجمة سنة ١٣٣٣ (١٩١٧)[3] ولها ترجمة تركية اخرى تسمى تقويم وقائع .

هذه نبذة من أعمال المستشرقين فيما يرجع لهذه الرحلة وهي تنبئكم عن مقدار قيمتها وكبير فائدتها ، ولي كلمة استطرادية هنا بهذه المناسبة : اننا معشر العرب والمسلمين لا ننظر بعين الرضى الى المستشرقين ونرميهم جميعاً بالتعصب لدينهم والحط من مدنيتنا وديننا ولغتنا ، واني أرى أننا نخطأ كل الخطإ في تعميم الحكم عليهم ، والصواب أن نميز بين من يدرس حضارتنا بدافع علمي محض وبين من يتخذ العلم وسيلة لاغراضه وأغراض قومه ، ثم أن أعمالهم تنقسم الى قسمين : منها ما يرجع لنشر مؤلفات اجدادنا وترجمتها والبحث عنها وحفظها في المكاتب وغير ذلك مما فائدته

(١) انظر المصادر

(٢) » »

(٣) » »

بينة ، وهذا القسم من أعمالهم يجب علينا أن ننظر اليه بكل اجلال وتعظيم شاكرين لهم مجهوداتهم ومقرين بفضلهم ، والقسم الثاني هو ما كان من مبتكرات أفكارهم وأعني به مؤلفاتهم في الحضارة الاسلامية والدين الاسلامي وتاريخ الدول العربية ووصف احوالنا الاجتماعية وغير ذلك من مناحي حياة بلاد الشرق عموماً ، فما كان من هذه الكتب تابعاً جادة الحق وبعيداً عن التعصب أخذنا بما فيه من فوائد وما كان منها منطوياً على سوء نية أو ظاهر تعصب واجحاف تعرضنا له بالنقد والرد على مفترياته واستنتاجاته الغير المنطقية ، هذه كلمة إنصاف دعاني اليها اعجابي الكبير باعمال المنصفين من المستشرقين امثال دوزي Dozy الهولاندي ودي سلان de Slane الانكليزي وفريطاغ Freytag ووستنفلد Wustenfeld الالمانيين - ومقتي الشديد للمتعصبين منهم اصحاب الاغراض النميمة امثال الاب لا منس Lammens البلجيكي ومرغوليوث Margoliouth الانكليزي وسنوك هور خروني Snouck-Hurgronje الهولاندي .

ولنرجع الان إلى ابن بطوطة وقد رأينا أي فضل لطائفة من المستشرقين عليه .

قد نبغ كثير من الكتاب العرب المغاربة من اندلسيين وافارقة في فن الرحلات وذلك راجع لأسباب اهمها :

أولاً . — بعد بلادهم عن الشرق والحجاز مهد الحضارة العربية ومهبط الوحي جعل الحجاج المغاربة من العلماء والادباء يهتمون بوصف تلك البقاع الشريفة وما احتوت عليه من آثار الصحابة رضوان الله عليهم والعلماء ومن المدارس والمساجد وغيرها تعريفاً لابناء وطنهم بحالة تلك البلاد التي يحنون إليها دائماً وتربطهم بها روابط الدم واللغة والدين .

ثانياً . — اغترابهم في طلب العلم ورواية الحديث وحرصهم على لقاء العلماء الاجلة لاخذ المعارف من منابعها الاصلية كان أيضاً من أسباب نفوذ سوق الرحلة ببلاد المغرب ، فكان الطالب عند ما يرجع من سفره وقد آب بعلم كثير يؤلف رحلة يذكر فيها المشايخ الذين التقى بهم وقرأ عليهم ويثبت الاجازات التي أخذها منهم ويصف كل ما شاهده في أسفاره وكان ذلك على حد تعبير أحد المشتغلين بهذا الفن (1) « شبه دكطورة » يتميز بها المؤلف الراحل عن غيره من العلماء المدرسين .

ثالثاً . — وهناك سبب آخر يرجع لقرب المغرب من اوربا فنتج عن ذلك سهولة السفر الى الاقطار الغربية وخصوصاً في القرون المتأخرة أي منذ القرن السادس عشر ، فكان سلاطين المغرب الاقصى مثلاً يوفدون السفراء الى ملوك اوربا لعقد المعاهدات وللمخابرة في الشؤون والمصالح المشتركة وقد ألف كثير من هؤلاء السفراء أو كتابهم رحلاتهم في بلاد الغرب (2) .

ثم أن الرحلة تحتوي في العادة اما على ذكر المراحل والمنازل والمدن التي مرَّ بها المؤلف مع وصف مشاهدها وأخلاق اهلها وعاداتهم ، أو تحتوي على تراجم العلماء والاولياء وغيرهم ممن التقى بهم المؤلف مع ذكر المناقشات العلمية التي وقعت له معهم أو تكون مجموعة منتخبات شعرية للمؤلف والادباء الذين تعرف بهم .

ورحلة ابن بطوطة من النوع الاول أي النوع الجغرافي ، وفائدتها من هذه الناحية عظيمة لان رواد الشرق الاقصى واواسط افريقيا وآسيا الوسطى قبل ابن بطوطة قليلون بل كان ابن بطوطة أول من دخل بعض الاقطار وكتب عنها زد على ذلك أنه ثقة لا يصف في الغالب الا ما رأى

(1) مقدمة رينو لجغرافية ابى الفداء ص CXXIII.
(2) قد فصلت ذلك في مقدمة جعلتها لرحلة السفير المغربي لابن عثمان المسماة إحراز المعلى والرقيب.

ويحدثنا بأمانة عما يشاهده من أحوال الامم وعاداتهم وصناعاتهم وما تنتجه بلادهم من الفواكه والنباتات وما تحتوي عليه أراضيهم من المعادن والبحور المحيطة بهم من الجواهر.

واليكم الآن طائفة من أقوال العلماء الذين درسوا رحلة ابن بطوطة لنقف على قيمتها العلمية، قال أحدهم [1] معلقاً على سفر ابن بطوطة الى مدينتي ملي وتنبكتو بالسودان: «وهو (أي ابن بطوطة) أول الرحالين الذين توغلوا في اواسط افريقيا ممن بلغتنا كتب رحلاتهم، وقد جاب ابن بطوطة افريقيا من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الشمال الغربي، وكل ما ذكر يتفق في غالب النقط مع ما جاء في كتب الرحالين المعاصرين،» وقال الجغرافي الالماني الشهير ريتر Ritter [2]: «وقد أعطى ابن بطوطة العالم العربي الطنجي المغربي الرحالة المسلم الصدوق المطلع تفاصيل كثيرة عن الاقطار النائية كاواسط افريقيا والهند والصين».

وقال الرحالة الالماني سيتزن Seetzen [3]: «اي رحالة اوربي من المعاصرين يمكنه ان يفتخر بكونه قضى مثل هذا الزمن الطويل المعادل لنصف عمر الانسان في الجولان في الاقطار البعيدة وهذا مع الاقدام الذي لا يعرف الوهن وتحمل المشاق والمتاعب؟ وأي أمة اوربية كان في امكانها ان تنجب رحالة في القرن الرابع عشر ليطوف الاقطار الاجنبية بمثل هذا الفكر الحر وهذه البراعة في الملاحظة ويكتب مشاهداته مثل ما فعل هذا الشيخ المغربي الشهير؟ ...»

وقال أحد الجغرافيين الانكليز [4]: «ان رحلة ابن بطوطة تعادل في الفائدة رحلة ماركو بولو ان لم تفقها».

وقال ناشر جغرافية ابى الفداء المتسشرق الفرنسي رينو Reinaud [1] عن رحالتنا: «قد فاق ابن حوقل والمسعودي وان لم يكن له علمهما فقد وصل الى اقطار كثيرة لم يكن لهما أدنى معرفة بها».

وأما فائدة رحلة ابن بطوطة فيما يرجع للتاريخ فانها لا تقل عن فائدتها الجغرافية وهذا بالخصوص في الفصول المتعلقة بالممالك السلجوقية في آسيا الصغرى وبدولة التتر ببلاد العجم وبروسيا الجنوبية وكانت اذ ذاك تحت حكم احد ابناء جنكيز خان، وأهم من كل هذا ما جاء في رحلته عن تاريخ الدولة الاسلامية الهندية وعن وصف عاصمتها دهلي وعوائد أهل الهند وسائر احوالهم الاجتماعية.

محمد الفاسي

(التتمة مع المصادر في العدد المقبل)

(1) Walckenaer, Recherches géographiques sur l'intérieur de l'Afrique Septentrionale, Paris, 1821, p. 29.

(2) Ritter's Erdkunde, X° partie, III° livre, t. VII : Les pays de l'Euphrate, p. 277.

(3) Zach's, Monatliche Correspondenz, Band 17, s. 304

(4) The Negroland of the Arabs examined and explaines; by W. Desborough Cooley ; London, 1841, in-8°, p. 70, note.

(1) مقدمة ترجمة جغرافية ابى الفداء — باريس سنة ١٨٤٨ ص ١٥٦ (CLVI) بالارقام الرومانية.

المشير ليوطي

توفي في شهر غشت المنصرم مشير فرنسا ليوطي فكان لوفاته أثر حزن عميق في فرنسا وفي سائر الاقطار التابعة لها وبالأخص المغرب الاقصى وقد كان المشير ليوطي مثل فيه الجمهورية العظيمة ثلاثة عشر سنة وأظهر في القيام بخطته السامية مقدرة نادرة اشهرت اسمه وجعلته في صف عظماء التاريخ، وكان يحب المغرب والمغاربة حباً عظيماً ولم يزل بعد مفارقته هاته الديار يلهج بذكرها ويهتم بشئونها وينتهز سائر الفرص لالفات الانظار اليها الى آخر ساعة من حياته الحافلة بجلائل الاعمال.

فنرفع الى ذويه تعازينا الحارة وندعو لهم بجميل الصبر والسلوان.

كلمتي الوجيزة في النقد

أنا مشترك بهذه المجلة المغربية الغراء اطالعها بلذة حين الفراغ ، فوقع بصري في عددها الصادر بشهر يوليو على صفحة ١٢ منها ، وفيها مقالة انتقاد طويل عريض بزهاء ٥ صفحات كبيرة ، وعنوانها (لذعات بريئة . . . هل يسمع شعراؤنا ؟) فاستاذنت مديرها الرحب الصدر السيد محمد الصالح ميسة بكتابة هذا الردّ الوجيز ، فأجابني : نعم بطيبة نفس فشكرته ، والمنتقد المسمى (ابن عباد) انتقد على الشاعرين الاديبين هما سيادة نقيب الاشراف العلويين الشريف السيد عبد الرحمان بن زيدان الكاتب المجيد والمؤرخ المفيد الفاضل الرزين المحب للسلم والسلام لا للنقد المرّ والخصام ، والثاني هو الفقيه الاديب السيد عباس الشرفي الذي لم يساعدني الحظّ بمعرفته كما تشرفت ذات يوم بتحية الشريف السيد الزيداني ولذلك فردّي على نقد ابن عباد هو مجرّد من التحزب والتعصب الادبي ، فلا أمسك القلم لجرّ مغنم لي من ذينك السيدين اللذين ادافع عنهما ولا لفائدة لي مادية ولا أدبية ، فلا اقصد بكتابتي هذه تبييض وجهي وتسويد وجه ابن عباد ، فان اقصى أمانيّ العدل والحق وحسم مادة الخصومة ، وأنا على يقين ، من أن كثيرين من عقلاء المغرب الكرام وشيوخه الفضلاء يستصوبون كلمتي هذه ، وربّ رهط من الشبان شبان هذا العصر الجديد المليح والقبيح السديد والعنيد الوسيم والاثيم يستخفون بكتابتي هذه مدّعين أني خرجت عن الموضوع ولم آخذ مقالة ابن عباد وأرد على ما فيها ، فاجيب ان قصر الوقت وكثرة الاشغال لا يسهلان عليّ كتابة عدّة صفحات للردّ على الناقد ، والكلام ما قلّ ودل ، وكلامي ليس ردّاً محضاً على عبارات المنتقد بل هو كلام مجمل عام ، فاعلم أيها الناقد الاديب أن المغرب ليس بباريز وباريز ليست بيروت والمثل الشائع في الشرق هو كل بلد لها زيّ وكل شجرة لها فيءٌ أي ظل خاص بها ، فالمغرب عوائد حميدة قديمة متوارثة فيجب على ابن هذا الجيل أن يراعيها ويحافظ عليها ، والمغرب لا يطيق ولا يحتمل اليوم الانتقاد المرّ الغليظ وربما احتمله الباريزي اكثر من البيروتي والبيروتي اكثر من العراقي وهلمّ جرا وربما قبله ورضي به المغرب بعد خمسين عاماً ولا يقبله اليوم ، فالمغرب هو عندي وعند غيري من المفكرين مثل شاب ظريف لطيف شجاع جسور بسنّ العشرين عاماً ، فدع هذا الشاب يبني بيت آدابه وعلومه بيده وبمساعدة علماء فرنسا الافاضل واتركه يروي صدره من مناهل العلوم الصافية والمعارف والفنون الكافية الوافية وخله يتمرّن زمناً أطول على حسن الكتابة نثراً وشعراً ، واجتهد يا هذا بادئ بدء في ان تستميل قلبه اليك ليثق بك فالثقة هي كنز ثمين ، ليثق بك وبمودتك ويحبك لخيره وصلاحه الادبي ، وبعد أن يثق بك وبحسن نيتك وصفاء سريرتك ويتأكد شاعره وناثره انك صديقه لا خصمه يقبل حينئذ نصائحك ويصغى الى انتقادك ويستفيد منه وربما يشكرك ويثني عليك على جودة نقدك المفيد ، ولكنك يا ابن عباد فاجأته بكتابتك مفاجأة مدهشة غليظة مسهبة الشرح بانتقادك المر ، فذكرت اسم الشاعر وشهرت قصيدته بما ليس فيها حال كون اسمك المستعار مجهولاً عندنا مخفياً وراء الستار ، وما قصدك يا ترى من الانتقاد أتوثيق عرى الصداقة بينك وبين الشاعرين الاريبين أم فتح باب التنافر والتجافي في عصرنا هذا عصر الهموم والغموم والتباغض والتشاتم ، فما أحوجنا اليوم الى المصالحة والمسالمة والسكون والهدو ، ورب شاب

(بلاشوارب) هو ابن أمس بالكتابة يعترض علي قائلاً : فلان نشر قصيدته وأذاعها على الجمهور وعلى البشر كلهم أجمعين أكتعين ، والحال كل كاتب يظهر كتابته ويعلنها على صفحات الجرائد عرضها للانتقاد وجعلها هدفاً لسهام الاقلام كأن القصيدة أصبحت ملكا لكل انسان يتصرف فيها كما يشاء سلخاً ومسخاً ونقداً ومدحاً وقدحاً ، فجوابي أن هذا القياس هو عندي أنا فاسد والكلام مردود وهو ماخوذ من الاجانب ومسروق من منطقهم الاعوج ، نعم يجب على كل كاتب أن ينتقد على البشر كتاباتهم البذية الشنعاء المضرّة بالنفوس والاجساد وهي علة هبوط الفرد والجماعة والامة الى دركات الذل والعار ، وعلينا أن نذم ونهجو بشدة وجسارة أفاعيل بعض الناس في صروح التصاوير المتحركة (السينما) وملاهي تمثيل الروايات المفسدة الخلاعية وعلينا أن نصعق بصاعقة غضبنا تلك الاجسام السابحة في البحر بنصف عري وبأخف ستر يسترها وهي وا أسفي أجسام صغار وكبار من الجنسين ، وينبغي لنا أن نهجو أصحاب الخطب والمقالات السياسية المضرمة في الممالك نيران الفتن والثورة والحروب .

وقصارى الكلام فعلى الكاتب المغربي اليوم أن يبني بيت آدابه وعلومه النافعة بيده ويحافظ على كنوز أجداده من العوائد الحميدة كالحياء والحشمة والرزانة ، ورب معترض يقول : لم يقصد ابن عباد تحقير الشاعرين فهو يحترم شخصيهما ويجلهما ويحرص على صيانة حرمتهما وصيتهما وسمعتهما بين الناس ، نعم أنا أفهم هذا ولكن (تجري الرياح بما لا تشتهي السفن) سبحان الله ، متى كان الشخص مفصولا عن شعره وكلامه وأفكاره وأفعاله ، أما تعلم أن العرب قالوا المرء مفتون بابنه وشعره : وقالوا (بنات الافكار) فكيف يا ترى تحقر بناتي أي أفكاري ولا تحقر شخصي فلو ضربت حيواني لاغتظت منك ، ولو شتمت ولدي للمتك ، كذا قل عن كلامي فهو عزيز علي كولدي وهو ثمرة قلبي وعقلي فلا أدعك تدوس برجلك أثمار بستاني ، وقالت العرب في كتب الادب (المعاني والبيان) : يجب أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال ، والحال ناظم القصيدة هو رجل شريف فاضل محترم ، وموضوعها جليل ديني مكرم ، والممدوح هو جلالة السلطان المعظم ، وهي مؤلفة من مديح وتهنئة وعواطف سامية وأفكار عالية ، أيليق بابن عباد أن يجعلها هدفاً لسهام قلمه ومرمى لنقده الخشن بعد ما استحسنتها الحضرة الشريفة واصغت الى انشادها واستظرفها رجال المخزن السعيد ووجدتها أنا جيدة عالية النفس حسنة السبك ذات أبيات جميلة ، وأشعر الشعراء المتقدمين والمحدثين تركوا لنا أبيات شعر ضعيفة مبهمة ركيكة عدمها خير من وجودها .

هذا واني لا أتصدّى بكتابتي هذه لمقالة ابن عباد بعينها لابين عيوبها الغير القليلة ولكني تحرَّيت الفائده الادبية والخير الاجتماعي والسلم والسلام ، هداني الله العظيم سواء السبيل بمنه وكرمه .

صديق

***

في كلمة واحدة

نشرت « مجلة المغرب » تحت عنوان « هل يسمع شعراؤنا ؟ » مقالاً بامضاء « ابن عباد » حاول صاحبه نقد الشعر والشعراء بالمغرب ، والنية حسنة جدا وشعرنا في احتياج كبير الى الغربلة ، وان وفق ابن عباد في النية فقد اخطأ في اختيار المنتقدين خصوصاً في أول مقال ، فاختياره للفقيه الشرفي وللشريف ابن زيدان ليس في محله ، فلا الشرفي ولا ابن زيدان من الشعراء حتى يستوجبا النقد

وأظن أنهما يعترفان بذلك معنا ، وكان الاجدر بابن عباد أن يختار لنقده مثل شاعر الحمراء والسيد علال الفاسي والسيد عبد المالك البلغيثي والشاعر المطبوع وغيرهم من الشعراء حقاً بدل أن يبدأ بفقيه ومؤرخ قد يحسنان قواعد النظم والعروض ولكنهما لم ينتحلا قط لقب شاعر .

ابن عمار

— نشكر لـ(صديق) تفضله بارشادنا الى ما يراه صواباً ، ولسنا على رأيه في بعض الملاحظات ، فقد خيل اليه أن بالمغرب طائفتين منفصلتين طائفة الشباب وينسب اليها النقد وطائفة الشيوخ ويظن أنها تستنكر النقد وعلى هذه النظرية بنى مقاله ، وليس في الايالة تباين بين الشبان والشيوخ وليس فيها فرق ما بين طبقات الامة ، والكل على رأي واحد في ضرورة بعث الادب من مرقده وترقية اساليب التفكير بسائر الوسائل . ولم نفهم ما كتب الكاتب عن المخزن الشريف ، وادخاله في قضية أدبية خاصة وعلى أي حال فان النقد ضروري للادب وكيفما كان فكر (صديق) فان كتابنا يخالفونه ، ومن الرسائل التي وصلتنا نقتطف هاته الجملة جاءت في كتاب لاحد رجال النهضة البارزين بقطر شقيق وفيه كفاية :

« قرأت في العدد الاخير الفصل الذي عنوانه « لذعات بريئة ... » فأعجبني كثيراً ولقد بلغ الناقد ابن عباد في فصله هذا غاية الابداع وعساه اذا استمر على نشر هذه « اللذعات البرئية » ينفض عن الادب العربي الحاضر في المغرب الاقصى وفي الجزائر وفي تونس غبار الكسل والخمول ويكسر عنه القيود والاغلال ويحدوه أن يؤدي مهمته على الوجه المستحب وان مهمته لعظيمة جداً

ولولا خلال سنها الشعر ما درى
بناة المعالي كيف تبني المكارم »

هذا ولدينا المقالة الثانية من السلسلة التي وعد بها ابن عباد والزمنا افساح المجال للرد ارجاءها للعدد المقبل وسيرى فيها (ابن عمار) و (صديق) أن ما لاحظاه لم يكن ليخفى منه شيء على مثل مساعدنا النبيل .

الادب الباكي والادب الضاحك

كان الاديب السوري السيد السمان القى بنادي طلبة شمال افريقيا المسلمين بباريز محاضرة قيمة في موضوع يشغل افكار كتاب اللغة العربية منذ سنين وهو ـ الادب الباكي والادب الضاحك ـ أو أدب القوة وأدب الضعف ، ونشرنا في العدد الثامن عشر من المجلة نبذة من ملخص هاته المحاضرة بقلم الشاب الاديب السيد عبد المجيد حجي ولم يتيسر لنا نشر بقيته في الاعداد بعد ، والى القراء ملخص صديقنا حجي مع اعادة نشر النبذة التي سبق زفها للقراء ليسهل عليهم تتبع الموضوع بتمامه :

ليس يخاف على القارئ ما حدث في نفوس الشباب يوم سمعوا القطعة الشعرية للاستاذ بشاره الخوري المدعو بالاخطل الصغير ، والتي غناها بصوته الملائكي الاستاذ محمد عبد الوهاب :

الهوى والشباب والامل المنشو
د ضاعت جميعها من يديا

إلى أن يقول :

يشرب الكاس ذو الحجا ويبقى
لغد في قرارة الكأس شيا
لم يكن لي غد فأفرغت كأسي
ثم حطمتها على شفتيا

هنا كان اول من اعلن هذه الثورة الادبية اديب وفيلسوف لبنان الاستاذ الكبير امين الريحاني حيث وقف خطيب طلاب الجامعة الوطنية ـ بعاليه ـ وقال : « في هذه البلاد الشرقية كثير من القلوب اللينة المترهلة بل القلوب

المائعة الذائبة قلوب تذوب كلما ناح الحمـام ، قلوب تميع كلما اهتز الورد في الاكمام ، قلوب شرقية مائعة على الدوام ، ونحن في زمن الحديد والكهرباء ! ان حاملي هذه القلوب لأعجز في المحن والنكبات من فراخ القطا ، ولأجبن من صغار الارانب ، وما اسرعنا وهذه قلوبنا إلى الشكوى والانين والندب والنحيب كأننا في مندب دائم . »

ثم يقول في خطبته : « اننا والحق يقال أكثر بكاء وأشد انتحابا من جميع الشعوب ، وما السبب يا ترى في هذا التلاغي المعنوي والروحي ؟ ان قلوب الشعراء من زجاج وأكثرهم يتموّنون منها ما يكفي الحياة الشعرية في كل ادوارها ، فاذا انكسر قلب من هذه القلوب صرخ صاحبه وصاح وأنَّ وناح يجب أن ننوح مثله » .

رجع الريحاني إلى قريته بعد خطبته هذه وقامت في لبنان عليه ثورة أدبية - ولبنان جميل توحي سماءه وأرضه الشعر الخيالي - في كل قرية منه شعراء وقوّالون ، قام هؤلاء جميعاً عليه ، يدافعون عن الادب الذي يرونه أرفع من أن يشتغل في الامور السياسية والاغراض الدنوية ، هذا في لبنان ، أما في سوريا الداخلية فمنذ أربع سنوات أقام المجمع العلمي العربي حفلة تكريم لأربعة شعراء احداث في السن بمناسبة حصولهم على الشهادة الثانوية وهم السادات : أنور العطار ، وجميل سلطان والمحاسني من دمشق والسكري من شرق الاردن ، بدأ هؤلاء الشعراء بعدئذ ينشرون القصائد في الصحف اليومية والاسبوعية ، قصائد جميلة في الواقع ولكن كلها على منهج واحد تقرأ القصيدة ثم تاليتها فلا ترى بينهما فرقاً الا في الوزن ؛ اما المعني والالفاظ فواحدة فيها كل كلمات الأسى والموت والقبر والنواح واليأس ، أما الشباب والقوة والعزة والحماس فغريب عنها ، قال السيد أنور العطار :

أيها الصدَّاح مـا هذا النزوع الى الغصون
تبكي بكاء أخي الهمو م وقد توردت العيون
والدمع لا يشفي الفؤا د وإن تقرَّحت الجفون
ما في بكائك راحة فدع التوجع والانين
يا شعر هل بعد الشقاء يطيب لي كأس المنون
فأنام كالاملاك مغتبطا مع الروح الامين

وقال في قصيدة اخرى : « ليل الحزين »

رب ان غاضت دموعي ألمـا
فمن الشافي من الوجد سواها
نضبت واستودعتني حرة
لو يكون الدمع جمـا لمحاها
مفزعي في الخطب ما حل به
وقراً بين دموعي ما عراها

فهل يرى القارئ اللبيب في هذه الابيات غير مـا ذكرناه سابقاً من الأسى والموت الخ ، مرت الايام وصار في سوريا رأي عام يدين بالحرية ويدعو للقوة : القوة العلمية والقوة المعنوية والقوة المادية ، فثار على شعرائه ، هؤلاء الذين نسوا دور الشاعر ومسخوه الى مغن يضرب على القيثارة الى نائحة تمسح دموعها بالمنديل هؤلاء الذين جعلوه شخصاً لا يعيش بين أمته ولا يعيش لاجلها ولا يستوفيها افكاره ، ولا ينشر افكارها ، بل رجلا نائياً شغله همه عن كل الهموم ، ولهي بلذته الفنية عن آلام امته ، وبكا طيف حبيب زاره في المنام ، ولم ينفخ في امته الروح القومية ويذكرها المصائب فتشجع قواها ، هؤلاء الشعراء الذين اذا مات واحد منهم بكته امة ، واذا ماتت الامة كلها لم يبكها أحد منهم .

بعد هذه الحوادث التي ذكرنا سواء في لبنان أو في سوريا قام الشباب السوري المعروف بحماسه للوطن والوطنية

وناصر الاستاذ الريحاني وعضد فكرته « الادب للحياة » لا الهية ولكنها الهية شريفة كما يقول النقادة فاكي Faguet وقامت سوريا تطلب الى الادباء والشعراء ان ينشدوها القصائد التي تذكر أهلها بآلامهم وتدعوهم الى اليقظة بعد النوم والى العلم بعد الجهل وحجج القائمين بهذه الحركة ذكرها الريحاني في كتاب نشره في سعدية ردّ فيه على من نفدوا نظريته ، وخلاصة آراء أخصام الريحاني ان للشاعر دوراً غير دور الفيلسوف والعالم والاجتماعي ، أن الشاعر يتأمل في الكون من الوجهة الفنية البحتة وهي سبيل اللذة فقط لذا يجب أن لا نخلطه مع الفيلسوف ونطلب اليه أن يضع للامه الادوية في أزماتها المعنوية . فانتقد الريحاني رأيهم هذا بعد أن بحث في الشاعر ـ لا ذلك الرجل الشخصي الاناني الذي لا يتعدى بشعره نفسه ـ والفيلسوف ، فقال « انهما يتفقان بل يمكن أن يجتمعا في شخص واحد ، ان بين الشعر الكوني الروحي وبين الفلسفة التي تقرن المادة بالروح صلة متينة ونسباً قديماً يمت الى افلاطون وهوميروس والحق يقال أن في فلسفة افلاطون شعراً صياحاً وفي شعر هوميروس فلسفة سامية ، ثم أن الحقيقة العلمية المجردة هي ناقصة نقص الحقيقة الحاضرة بالشعور وأما الحقيقة الكبرى ـ الحقيقة الدائمة ـ فانما هي التي تجمع بين الحقيقتين ، بين ما يدرك الشاعر بحسه الدقيق وما يدركه الفيلسوف بعقله المحيط ، هي حقيقة « جوتة » في « فوست » هي حقيقة « شكسبير » في « همليت » هي حقيقة « برغسون » في كتابه l'evolution créatri_e هي حقيقة المعري في اللزوميات ، هي حقيقة ابن طفيل في حي بن يقظان وهي اخيراً حقيقة ابن سينا في قصيدته النفس حين يقول وقد اخترق سرّ المادة :

هجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت
ما ليس يدرك بالعيون الهجع

قال الفيلسوف للشاعر : اني أعلم ما تراه ، وقال الشاعر للفيلسوف : أني أرى ما تعلم ، مثل هذا الشاعر وهذا الفيلسوف لا يختلفان وكثيراً ما يكمل الواحد منهما عمل الآخر فيدرك الفيلسوف بالفهم والاستقراء ما يفتح للشاعر أبواباً للوحي جديدة ويدرك الشاعر بالحس والتصوير ما ينبه الفيلسوف لجادة في البحث مجهولة ويوسع لديه نطاق الفكر والاكتشاف اذن لا يمكن فصل دور الشاعر عن دور الفيلسوف في الحياة العلمية بل ان جواب احدهما عنها لا يختلف عن جواب الاخر...

هناك ألم شخصي وألم قومي ، الالم الشخصي بارز في شعر الشاعر الصغير الذي يبكي وينوح ويندب حظه وقلما يتألم لغير نفسه ، ولكن الشاعر الكبير الرجل الذي يستحق أن يتشرف بلقب الشاعر يتألم ويصف الالم وصفاً يؤلمك ويهيج فيك الالم والنقمة بل يريك من الفواجع الاجتماعية

ما يضرم في صدرك نار التمرد ويشعل فيه نار الرغبة بالعمل بل نور العمل والاصلاح ، ولقد كان رهين المحبسين المعري أسوأ الناس حظاً وأشدّهم بؤساً وأرقهم شعوراً ومع ذلك فانا لننمي ألمه الشخصي حينما نسمع في شعره رنة الالم القومي بل الانساني ، ولقد انتقد المعري المظالم والمفاسد السياسية والدينية في عصره وصاح بالمرائين صيحات مصعقات وما فقد بعد ذلك النظر الاعلى ولا تعامى عن الحقيقة الكبرى في الجمال الصافي حيث يقول :

اذا ما فعلت الخير فاجعله صافياً
لربك وازج عن مديحك السنا
فكونك في هذي الحياة مصيبة
يعزيك عنها أن تبر وتحسنا

هو ذا الألم القومي بل الألم الانساني الذي يتمثل في الشاعر الكبير فيرفعه الى أوج المعرفة والتصوير ويسلحه بالجرأة زينة الحق ، اذن فالشاعر الكبير يتألم بالألم القومي ولكن ماذا يهيج فيه الألم ؟ وهنا يثبت الريحاني أن الدموع هي مظهر من مظاهر الضعف لا من مظاهر القوّة وأنها تبدو على الضعفاء لا على الاقوياء فينصح الينا بتجفيف مستنقعات الدموع وسلالاتها ، إذ يجب على الشاعر المتألم أن يظهر قوياً في ألمه لا ضعيفاً بدمعه وأن يبعث الحياة والقوة في نفوس مواطنيه لا أن يبكي ويدعوهم للاستسلام والبكاء ، ان الدموع تسكن القوى والالم يثيرها ، والشعراء الكبار مثل ابي العلاء ودي موسي قاسوا من آلام الحياة أشدها وأنواعها لما كان في زمانهم من جهل وظلم ولكنهم لم يبكوا ولم يذرفوا الدموع الغالية بل كانوا ثائرين متمردين .

عبد المجيد حجي

بين الدين والالحاد

لا يعزب عن الناقد الخبير ، ان من الامراض الاجتماعية التي تكونت مع نشوء المدنية الحديثة الالحاد أو اللادين وضف الى ذلك الآلات الميكانيكية التي امتاز بها هذا العصر على غيره من العصور والتي نشاهدها في سائر مظاهره وبالرغم عن نفعها الجزيل ـ كانت مع داء الالحاد ـ من الاسباب المباشرة لفقد الانسان مشاعره واحساساته الروحية التي تمنحه السعادة والاطمئنان فصار كآلة مستخدمة لأصحاب رءوس الاموال المستبدّين ، وهذه من المشاكل الاجتماعيه العويصة التي لم تحل بعد ، ومن الاسباب الجوهرية التي زادها تعقيداً مظاهر المادة المتجلية في سائر مناحي حياة اوربا ، فالنفوس مجردة من الايمان الفطري الذي يفسح ارجاء الحياة ويملأها قوة وآمالا ولطفاً وتسامحاً والعالم المتمدن دائماً في اضطراب وقلق وتشاؤم ، محفوف بالمتاعب والاخطار ، والعقول ضجرة قانطة ، لا ترى أمامها الا حياة ضيقة الدائرة ، وليس للتعاليم الدينية تأثير على النفوس البتة ، وانما تلك مظاهر تنمحي من الذاكرة في حينها والعلة في ذلك أن المدنية لم تختمر اثناء تكونها بروح الدين الفطري الضروري للشعوب ، كضرورة الاحساسات التي يصدر عنها ، اذ هو خالد للمجتمع البشري مغذي الشعور الكامن ومضعف من حدة الانفعالات الطبيعية التي تصدر من اعماق النفوس ليعد بذلك التوازن في الحياة الاجتماعية بين عناصر المادة وعناصر الاحساسات الروحية وهذا مفقود لدى الشعوب الاوربية عموماً في حين أن المدنية الاسلامية استمرت قروناً وهي في آزان تكافح في ميادين الرقي والحضارة والعمران ، وما ذاك الا بفضل ما زودها الدين الاسلامي من الايمان القوي الذي امتزج مع خلايا العروق والافئدة فأكسبها قناعة واقداماً ونشاطا ، ويشهد لذلك تاريخنا المجيد .

بيد أن المكون لفكرة الالحاد أفراد يزعمون أن ليس هناك مدبر ولا مصير لهذه الاكوان وانما الطبيعة خلقت نفسها بنفسها بدون احتياج لأحد وما دون هذا الا خرافات وأوهام فعجباً لقوم خدعتهم مداركهم بهذا التفكير العقيم مع ظنهم أنه خلاصة البحث العلمي المجرد ، اذ لو أنهم القوا نظرة اجمالية على ما حولهم من الفضاء الواسع اللانهائي لوجدوا أنه ما من حركة من حركاته الا

ولها نظام متين، فنشاهد الجوهر الفرد — وهو أقصى شيء يرى بالمنظار — الى أعظم كوكب في الفضاء الا وله قانون لا يتجاوزه، سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا، فالعالم آيات في الابداع والتناسق والتناسب يستحيل أن يكون نفسه بنفسه والا لوقعت فيه فوضى وفسد واضمحل واندثر ولم يتمش بنواميس ثابتة وإذا ما خدعتهم نواميس المدنية الحديثة واختراعاتها وظنوا أنها يوماً ما تكشف عن حقائق ما وراء الطبيعة مباشرة قياساً على ما استنبطت من بديع الاختراعات التي سهلت للانسان كل مطالبه الحيوية فان هذه ليست في مقدوراتهم ما دام التقدم الذي وقع لا يتناول الا ما هو حائط بنا وندركه بحواسنا بمقتضى ما تكيفه لنا ولا يتعدى عالمنا الارضي، حيث أن الله خلق الانسان ليفكر ويعمل في حيز من الوجود تحوطه عناصر لا يستطيع تخطيها، فاذا علموا أنه لا يمكن للانسان ان يتطلع الى ما وراء نطاقه أو يبحث عن عوالم لم يكن من ذراتها ولم يبعثه الله في وسطها، وغاية ما منحه دفع تلك الحواجز الحائطة به ليتسع قليلاً حيز التفكير والعمل ويساير نظام النشوء والتطور ثم أهله بحواس خاصة وعقل نسبي ليتفهم بها ما هو حائط بظروفه من الكائنات، نعم اذا علموا هذا تيقنوا أنه لا يستطيع البشر أن يكشف عن أسرار السماء ما دام لم يهب عقلا عاماً ولا حواس اخرى ليدرك بها ما هو محجوب عنه بدليل أن البعض حاول أن يقوم برحلة الى بعض الكواكب المجاورة لنا فتمزقت اعمالهم وتحطمت مساعيهم، لعدم وجود مؤهلات طبيعية تسهل طرق البحث، واذا ما اكتشفت عناصر لتتغلب على العناصر القوية التي تحول دون البحث في الفضاء فان هذه المحاولة لم تأت بالنتيجة التي تتطلب منها، وليس مفهوم هذا أنه لا يمكن الوصول الى بعض الكواكب القريبة بل ربما يجدون مواداً تتغلب على الحواجز توصلهم الى كوكب من الكواكب وانما الحقيقة الواضحة أنه لا يمكن للانسان أن يكتشف اسرار السماء، وان اكتشفت بعض الكواكب فلا يزيد المؤمن بذلك الا اطمئنانا.

وعلاوة على ما تقدم، فان الدين قد امتد من أول التاريخ الى الآن، ولا زال سائداً في الوجود بالرغم على عبور الانسانية خطوات واسعة في الرقي لم تتقدم في العصور السالفة، فكل هذه المعارف التي ثقفت الانسان وأكسبته خبرة واسعة لم تؤثر على الدين أثناء التخبط في مضمار التقلبات الفجائية كما كان يتوقع الملاحدة، بل هو العامل الوحيد الذي قامت على اسسه المدنية الاسلامية، وباقتباس عناصر الدين الاسلامي تكونت المدنية الاوربية خلافاً لبعض المستشرقين الذين ينكرون هذا ويبدون بذلك التضليل والمغالطة، ولدينا أدلة كثيرة منها الاختلاط الذي وقع بين الاندلسيين بما جاورهم من قارة اوربا، وبما كان من تأثير الغرب بالثقافة الاسلامية في عهد الحروب الصليبية وغير ذلك من العوامل التي جعلت الغرب يرتشف من عناصر المدنية الاسلامية العذبة.

هذا وقد خامر بعض الشرقيين الاقتداء بما وقع أثر نهوض الغرب من الثورات على الدين، مثل ما وقع في فرنسا وروسيا وغيرهما فجنوا على قومهم جنايات فظيعة ونكلوا بالرهبان والقسيسين وهدموا الكنائس والاديرة، فاعتقد دعاة الاصلاح ان بتقليدهم هذا ينهض الشرق ويمنح الحرية والخروج عن الاستعباد، فقد ضلوا سواء السبيل ولو تعمقوا في اصول المسألة وفحصوا الموضوع لتجلت لهم الحقيقة عكس ما تخيلوا.

وصفوة البحث أن الانقلابات التي وقعت في اوربا كانت متسببة عن الخمول الذي كان سائداً في حياتها ولم تقو على مسايرة النهوض الاسلامي قروناً عديدة وحين تأثرت بالمدنية الاسلامية وحاول المصلحون النهوض بها وجدوا قوانين الديانة المسيحية التي تسير حياتهم خالية من روح الحياة والنهوض، دالة على التقشف والرهبانية والزهد وآمرة بطرح سائر اعمال الدنيا من مدنية وسياسة وجميع منافع المجتمع ليتأهل الانسان بقلب منكسر ينتظر الجنة، وهذا ضمن الكتاب المقدس، والحق أن شريعتهم نزلت بهذا لدى فسادهم وانهماكهم في الشهوات والملذات ليحصل التوازن وقد حصل برهة ثم رجعت الفوضى والاباحية، واذا فهمنا هذا سهل علينا ان نعذر زعماء الثورات الذين تبذوا القديم ملتمسين عناصر الحياة من الملة الاسلامية، ليقوموا بها مجدهم في تلك العصور المظلمة، ولذلك فلا نفتقر الى الاقتداء بهم ما داموا قد اقتدوا بنا من قبل.

على أن الملاحدة في اوربا قد خفت صوتهم قليلا في السنوات الاخيرة وتغيرت مناهج بحوثهم وضعفت حدتهم واحجموا عن بث سمومهم في المجتمع، اذ علموا أن أفكارهم لا توافق الحياة الطبيعية، وحيث كان الشرق عبارة عن صدى ما يقع في الغرب بمقتضى التأثر بثقافته، والاحتكاك بآرائه ومذهبه، فقد انقلبت آراء مفكريه رأساً على عقب فتراجعوا الى القديم وتفقدوا تراثهم بتنميته وتكييفه، في صور توافق الاساليب الحديثة فوجدوا فيه الارتياح والاطمئنان، والانتاج والنفع العميم الذي ستقوم على اسسه الحضارة الاسلامية في المستقبل لتكون وليدة بيئتها ووسطها وعقليتها الخاصة، مطبوعة بطابع يميزها عن غيرها من الحضارات.

« يتبع » أحمد بن احساين



مجلة المغرب



MAJALLAT EL MAGHRIB

Rédaction et Administration	الادارة والتحـريـر
Immeuble Mathias Rue Jules-Poivre — RABAT	ملك ماتياس — نهج جول بوافر — بالرباط
Publicité : Agence de Casablanca : 137, Avenue Mers Sultan	الاعلانات: فرع الدار البيضاء ١٣٧ شارع مرس سلطان تلفون 03,70

Prix de l'Abonnement pour l'année :		الاشتراك عن سنة	
Maroc, Algérie, Tunisie, Syrie :	60 frs	المغرب ـ الجزائر ـ تونس ـ سوريا	٦٠ فرنكا
France et Colonies :	100 -	فرنسا ومستعمراتها	١٠٠
Etranger :	120 -	الممالك الاجنبية	١٢٠

Imp. Nouvelle - Rue de la Mamounia - RABAT - Le Gérant : [illegible]